الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية

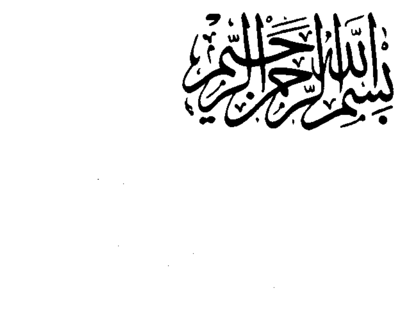
تأليف

مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة (١٠٣٣هـ)

تحقيق وتعليق

نجم عبد الرحمن خلف

مؤسسة الرسالة
دار الفرقان



الشهادة الزكية
في
ثناء الأئمة على ابن تيمية

الطبعة الثانية

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

دار الفرقان للنشر والتوزيع
عمان / الأردن / جبل الحسين شارع خالد بن الوليد
ص.ب ٩٢١٥٢٦ ت: ٦٦٠٩٣٧



مؤسسة الرسالة بيروت – شارع سوريا – بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ – ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

المقـــدِّمَة

لهذا الكتاب - تبعاً لأصله «الرد الوافر» - قضية خطيرة، وطالما تكررت على مدار التاريخ الإسلامي، وهي الطعن والتجريح والتشهير بسبب الخلاف الفقهي وغيره.

إذ تجرأ العلامةُ الفقيهُ محمد بن محمد عـلاء الدين البخـاري المتوفى سنة ٨٤١ هـ في الحكم على الإمام ابن تيمية بالكفر، بل كَفَّرَ كل من نعته «بشيخ الإسلام»، ورغم علمنا بأن الإمام علاء الدين البخاري موصوفٌ بسرعة الغضب، وضيق العطن، والتعصب لفروع مذهبه، وبأن ابن تيمية خالف الجمهور في فتوى الطلاق المشهورة عنه، فإن هذا لا يعطي العذر للشيخ علاء الدين البخاري، ولا يبرر له مقالته المنكرة الجائرة التي حكم بها على ابن تيمية بالكفر، بل وعلى كل مَن لَقَّبه بشيخ الإسلام.

فإن ابن تيمية - كما هو معروف - إمام مجتهد، وقد وصفه بالاجتهـاد أعلام عصره مِن الأئمة العظام كالحافظ المزي، والبرزالي، وابن سيد الناس، والذهبي، وعشرات غيرهم.

والعلماء جميعاً يعلمون - ومنهم: الشيـخ علاء الـدين البخاري - بـأن المجتهد مأجور إن أصاب أو أخطأ ما دام أن اجتهاده سائغ ومبني على دليل، فلو فرضنا أن ابن تيمية قد أخطأ في اجتهاده وخالف الجمهور في مسألة أو

أكثر فإن ذلك لا يعطي مساغاً لمن كان في نفسه هوى أو عصبية فيطعن بهذا الإمام الجليل ويصمه بالكفر، إنَّ ابن تيمية هو الإمام الذي كان سيفاً صارماً على المبتدعين آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وله في ذلك صولات وجولات وكتب ومقالات يعرفها الخاص والعام. فيا فرحة أهل الأهواء بمثل هذا الهُراء الذي يقال في حق العلماء الأصفياء النُّجباء. ورحم الله ابنَ حجر العسقلاني إذ يقول:

«ومِنْ أعجب العجب أنَّ هذا الرجل كان أعظم الناس قياماً على أهل البدع مِن الروافض والحلولية والاتحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا تدخل تحت الحصر فيا قرَّة أعينهم إذا سمعوا بكفره، ويا سرورهم إذا رأوا مَنْ يكفر مَنْ لا يكفِّره، فالواجب على مَن تلبَّس بالعلم وكان له عقل أن يتأمّل كلام الرجل مِن تصانيفه المشتهرة، أو مِن ألسنة مَن يوثق به مِن أهل النقل».

أما قضية الجرح فينبغي أن يُتفَقَّدَ عند الجرح: حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح، فربما خالف الجارحُ المجروحَ في العقيدة فجرَّحَهُ لذلك[1].

وقد أشار شيخُ الإسلام، سيد المتأخرين تقي الدين ابنُ دقيق العيد في كتابه «الاقتراح» إلى هذا، وقال:

«أعراض المسلمين: حفرة مِن حُفر النار، وَقَفَ على شفيرها طائفتانِ مِنَ الناس: المُحدِّثون والحُكّام».

فينبغي التنبه لمثل هذا، فإنه باب خطير مَنْ وَلَجَهُ حميَّة أو عصبية أو هوى فقد هلك.

---

(١) انظر قاعدة في الجرح والتعديل للسبكي ص ٣٠.

ومِنَ القواعد اللطيفة التي ذكرها العلماء، ما قاله الشيخ التَفِهْني عبدالرحمن بن علي الحنفي ت ٨٣٥ هـ[١]: «والإنسان إذا لم يُخالط، ولم يُعاشر؛ يُسْتَدل على أحواله وأوصافه: بآثاره»، ثم قال مستخدماً هذه القاعدة العظيمة:

«ولو لم يكن مِن آثاره ـ أي ابن تيمية ـ إلا ما اتَّصفَ به تلميذه «ابن القيم الجوزية» مِنَ العلم لكفى ذلك دليلاً على ما قلناه.

نسأل الله أن يجنبنا الفتن، مما ظهر منها وما بطن، ويرزقنا الإنصاف، ويعيذنا مِن الفرقة والاختلاف وأن يغفر لجميع أئمة المسلمين وأن يتقبلهم عنده في الصالحين، ويختم لنا بما ختم به لعباده المتقين، إنه هو البَر الرحيم، الجواد الكريم.

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذينَ آمنوا ربنا إنَّكَ رؤوفٌ رحيم ﴾.

الفقير إلى الله تعالى

نجم عبدالرحمن خلف

عمان في ١٥/ جمادى الأولى/ ١٤٠٣ هـ

من الهجرة النبوية الشريفة

---

(١) قاله في تقريض كتاب «الرد الوافر» رقم ٢٠ من كتابنا هذا وانظر التعليق عليه.



ترجمة المصنف

مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي[1] ثم المقدسي الحنبلي.

ولد في طور كرم بفلسطين، وانتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة، واستقر بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

وقد كان الشيخ مرعي مِن كبار علماء الحنابلة بمصر، إماماً محدثاً فقيهاً، ذا اطلاع واسع على نقول الفقه، ودقائق الحديث، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة. وله مصنفات قيمة، وهي كثيرة متعددة، وقد قمتُ بتتبعها وإحصائها ـ حسب الطاقة ـ فبلغت (٧٧) كتاباً، وقد تزيد على ذلك.

وكان ينظم الشعر، وله ديوان جيد، ومنه قوله:

يا ساحر الطَّرف يا من مهجتي سحرا ... كم ذا تنام وكم أسهرتني سحرا
لو كنت تعلم مما أَلقاه منك لما ... أتعبتَ يا منيتي قلباً إليك سرى
هذا المحب لقد شاعت صبابته ... بالروح والنفس يوماً بالوصال شرى

وقال أيضاً:

لئن قلَّدَ الناسُ الأئمة إنني ... لفي مذهب الحَبر ابن حنبل راغبُ
أُقلِّدُ فتواه وأعشقُ قولَه ... وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

(١) نسبة (لطور كرم): قرية بقرب نابلس. خلاصة الأثر ٣٥٨/٤.

شيوخه:

أخذ العلم عن الشيخ محمد المرادي، وعن القاضي يحيى الحجاوي.

وفي مصر أخذ عن الشيخ محمد بن محمد بن عبدالله القلقشندي، المعروف بمحمد حجازي الواعظ، وكان فقيهاً، عالماً بالتفسير والحديث. وقد شرح الجامع الصغير في اثني عشر مجلداً، وسَمَّاه: «فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير» توفي سنة ١٠٣٥ هـ.

وأخذ عن الإمام المحقق أحمد بن محمد بن علي الغنيمي الأنصاري الخزرجي، وهو مِن فقهاء مصر وعلمائها، له حواشي وشروح في الأُصول والعربية، ورسائل في الأدب والمنطق والتوحيد، وله تعليقات على تفسير البيضاوي، والزمخشري، وأبي السعود جمعها في كتاب سُمِّيَ: «حاشية الغنيمي في التفسير» توفي سنة ١٠٤٤ هـ.

توفي في القاهرة في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثلاثين وألف ـ رحمه الله تعالى[١] ـ.

(١) خلاصة الأثر: ٤/٣٥٨ ـ ٣٦١.

آثاره المطبوع منها والمخطوط

مرتبة على حروف المعجم، وقد بذلت وسعي في تحديد أماكن النسخ الخطية منها في مكتبات العالم ـ الطافحة بنفائس تراثنا الكريم ـ .

١ ـ الآيات المحكمات والمتشابهات. ذكره صاحب إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١/٧.

٢ ـ إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب ﴾. منه نسخة خطية في مدرسة الحاج حسين في الموصل رقم ١٣٧ ضمن مجموع.

٣ ـ إحكام الأساس في قوله تعالى: ﴿ إنَّ أول بيتٍ وُضِعَ للنّاس ﴾، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٤.

٤ ـ إخلاص الوداد في صدق الميعاد، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٠.

٥ ـ إرشاد ذوي الأفهام لنزول عيسى ـ عليه السلام ـ ، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٦.

٦ ـ إرشاد ذوي العرفان لما في العمر من الزيادة والنقصان، وهو مختصر من كتاب بهجة الناظرين، وأرواح الأشباح ومنه نسخة خطية في جامعة برنستون، جاريت برقم ١٥٣١ في (٨) ورقات. انتهى من تلخيصها سنة ١٠٢٢ هـ. ومنه نسخة أخرى في مدرسة الحاج حسين في الموصل رقم ١٣٧ ضمن مجموع.

٧ ـ إرشاد مَن كان قصده لا إله إلا الله، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٦.

٨ ـ أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٦٤.

٩ ـ أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٦٦.

١٠ ـ أقاويل الثقات في تأويل الصفات والآيات المحكمات والمتشابهات. ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد كتبت سنة ١٢٤٠ هـ رقم ٢٧٦٣.

١١ ـ إيقاف العارفين على حكم أوقاف السلاطين، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/١٥٩.

١٢ ـ الأدلة الوفية بتصويب قول الفقهاء والصوفية، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٢.

١٣ ـ بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات يعرف «بإنشاء مرعي»، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية، كتبت سنة ١٠٨٥ هـ ورقمها ٣٣. وقد طبع الكتاب تسع طبعات، آخرها في مطبعة الشيخ عبد الرزاق بمصر سنة ١٢٩٩ هـ.

١٤ ـ البرهان في تفسير القرآن ـ لم يتمه ـ، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/١٧٩.

١٥ ـ بشرى ذوي الإحسان لمن يقضي حوائج الإخوان، ذكر صاحب إيضاح المكنون ١/١٨٤.

١٦ ـ بشرى مَن استبصر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/١٨٤.

١٧ ـ بهجة الناظرين في آيات المستدلين ـ وهو في عشرين كراساً ـ يشتمل على العجائب والغرائب. ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد، كتبت سنة ١١٨٣ هـ ورقمها ٩٦٧٨.

١٨ ـ تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، ٧ و٢٦٠٢ و٤٢٨ وPatna II، ٢ و٢٠٢٦ Paris.

١٩ ـ تحقيق البرهان في شأن الدُّخان الذي يشربه الناس الآن، ٤٢٤ و١ Qawala، ٤ و٢١٠٢ Gotha.

٢٠ ـ تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف، فرغ منه بالأزهر، سنة ١٠٢٣ هـ، ١٠ ورقات، قوبلت على نسخة المؤلف، جامعة برنستون، جاريت ١٥٣١.

٢١ ـ تحقيق الرُّجحان بصوم يوم الشك مِن رمضان، ٦٠ و٦٣٨ وRAAD IX و Taimur.

٢٢ ـ تحقيق الظنون بأخبار الطاعون، ٦٣١٣: Berl، ١٠٢٨/١٦١٩ Verf. 1. وFragen ٢٠ و٢٠٢٦: Paris.

٢٣ ـ تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي الولاية، أو النبوة والرسالة، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٢٦٧.

٢٤ ـ تسكين الأشواق بأخبار العشاق، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٢٨٦.

٢٥ ـ تشويق الأنام إلى حج بيت الله الحرام، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٢٩٢.

٢٦ ـ تلخيص أوصاف المصطفى ـ ﷺ ـ وذكر مَن بعده مِنَ الخلفاء، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣١٧.

٢٧ ـ تنبيه الماهر على غير ما هو المتبادر مِنَ الأحاديث الواردة في الصفات، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٢٧.

٢٨ ـ تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين، منه نسخة خطية في مكتبتي ترقى للقرن ١٢ هـ في ١٢٠ ورقة، ونسخة في دار الكتب المصرية، كتبت سنة ١١٧٠ هـ ورقمها ٢١٢٠، ونسخة في المكتبة

الظاهريـة بدمشق، كتبت سنـة ١٢٨٧ هـ وفيها نقص كبـير ورقمها ٨٤٨٨.

٢٩ ـ تهذيب الكلام في حكم أرض مصر والشّام، ذكره صاحب إيضـاح المكنون ١/٣٤٢.

٣٠ ـ توضيح البرهان في إثبات حقيقة الميزان، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٦.

٣١ ـ توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٣٨.

٣٢ ـ تـوقيف الفـريقـين عـلى خلود أهـــل الـدارين، ٢٠ و٢٦٠٢ و٤٢٨ وPatna II.

٣٣ ـ الحجج البيِّنة في إبطال اليمين مع البيِّنة، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٣٩٤.

٣٤ ـ الحِكَم الملكية والكلم الأَزهرية، ٥ و٢٠٢٦: Paris.

٣٥ ـ دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقـدر، ٢١ وI[2] و١٤٠ وVI[1] Kairo.

٣٦ ـ دليل الحكام في الوصول إلى دار السلام، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٤٧٨.

٣٧ ـ دليل الطالب لنيل المطالب، اختصره من كتاب: «متن المنتهى»، طبع مع حاشية محمد بن مانع في دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٦١ م في ٣٢٦ صفحة.

٣٨ ـ دليل الطالبين لكلام النحويين، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٤٧٩.

٣٩ ـ ديوان الكرمي، وهو ديوان شعر للمصنف ـ رحمه الله ـ ، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٢٦.

٤٠ ـ رفع التلبيس عمن توقف فيما كفر به إبليس، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١/٥٧٨.

٤١ ـ روض العارفين وتسليك المريدين، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٥٨٩/١.

٤٢ ـ رياض الأزهار في حكم السَّماع والأوتار، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٥٩٩/١.

٤٣ ـ الروض النضر في الكلام على الخضر، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٥٩١/١.

٤٤ ـ سلوان المصاب بفرقة الأحباب، ٦ و٢٠٤ I: Garr، ٣ eb.

٤٥ ـ سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢٥/٢.

٤٦ ـ السِّراج المنير في استعمال الذهب والحرير، ذكره صاحب هدية العارفين ٤٢٧/٢.

٤٧ ـ شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٥٠/٢.

٤٨ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية. وهو كتابنا هذا: وسنتكلم عنها بالتفصيل في موضع آخر، (١٨٤٧. Garr. ٢٢) S. Suppl. ٣٢ ـ ٢٢ ـ ٢٤٩. Landb و٤٢٨ وPatna II، ٢٤؛ ١ و٢٦٠٢ و٤٢٨: Patna II. Alex. Ta't. 3 و١٨٤٨. Garr ٢٨؛ ٣ و٢٦٠٢.

٤٩ ـ غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى ـ في الفقه الحنبلي ـ ومنه نسخة خطية في مكتبة الأوقاف ببغداد، كتبت سنة ١٢٧٢ هـ ورقمها ٨٣٨٠، ونسخة أخرى برقم ٤٠٥٢، وقد طبع في دمشق، منشورات دار السلام، ١٩٥٩ م في ثلاثة أجزاء.

٥٠ ـ فتح المنّان بتفسير آية الامتنان، ذكره صاحب إيضاح المكنون ١٧٤/١.

٥١ ـ فم الوكاء في كلام السفيان من ألفاظ المهملات في التكفير، و٥٤٦ eb.VII. ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٤٨٤/٢.

٥٢ ـ فرائد فوائد ـ الفكـر في الإمام المهـدي المنتظر، و١٦١: Kairo[1] VI، ١٥٢٧: Garr، ١ و٢٠٢٦: Paris ٣٣٧ وI[2].

٥٣ ـ الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، طبع بتحقيق الأستاذ محمد الصباغ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٧ هـ.

٥٤ ـ قُرَّة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٢٢٥.

٥٥ ـ قـلائد العقيـان في فضائـل آل «ملوك» عثمان، وهـو تاريـخ للدولة العثمانية، وسلاطينها، أوله مقدمة عن فضل السلطنة والسلطان، ثم يذكر سلاطين آل عثمـان، فرغ منـه سنة ١٠٣١ هـ نسخـة منه في المغرب، الخزانة العامة بالرباط برقم ٢٣٨٠ ك في ٤٠ ورقة.

٥٦ ـ قلائد العقيان في قوله تعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٢٣٨.

٥٧ ـ قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ مِن القرآن، منه نسخة خطية في جامعة برنستون، جاريت برقم ٦٠ في ٣٢ ورقة كتب سنة ١١٥٧ هـ، ونسخة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة من ورقة (١٠١ ـ ١٤٥) رقم ٢٣٠٥١ ب.

٥٨ ـ القول البديع في علم البديع، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٢٤٧.

٥٩ ـ القول المعروف في فضائل المعروف، جمع فيه أربعين حديثاً في هذا الموضوع. منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية، ضمن مجموع رقم ٢٧٢ مجاميع.

٦٠ ـ الكلمـات البينات في قـولـه تعـالى: ﴿ وبشـر الـذين آمنـوا وعملوا الصالحات ﴾، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٣٧٨.

٦١ ـ الكلمـات السنيات في قـوله تعـالى: ﴿ وبشـر الـذين آمنـوا وعملوا الصالحات ﴾، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٧.

٦٢ ـ الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، وهو ترجمة لحياة شيخ

الإسلام ابن تيمية، جمعها من مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي، والبزار، وأحمد بن فضل. فرغ منه سنة ١٠٢٧ هـ. منه نسخة خطية في لاندبيرج ٢٤٣ بخط المصنف، ٥٠ ورقة وبريل: ١٠١٢٨. وقد طبع في كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ وهو تحت الطبع، نسأل الله أن يعيننا على إخراجه.

٦٣ ـ لطائف المعارف، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٠٥.

٦٤ ـ اللفظ الموطا في بيان الصلاة الوسطى، ومنه نسخة خطية في المكتبة التيمورية، ضمن مجموعة، كتبت سنة ١٣٠٧ هـ، ورقمها ٣٩٥ مجاميع.

٦٥ ـ مما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٢١.

٦٦ ـ محرك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٤٣.

٦٧ ـ مرآة الفكر في المهدي المنتظر، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٦١.

٦٨ ـ مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النَّسب، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٤٧٧.

٦٩ ـ المسائل اللطيفة في فسخ الحج والعمرة الشريفة، ذكره صاحب هدية العارفين ٢/٤٢٧.

٧٠ ـ مقدمة الخائض في علم الفرائض، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٥٤٣.

٧١ ـ منية المحبين وبغية العاشقين، Alex. Adad : ١٧٠. ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/٥٦٧.

٧٢ ـ المَسَرَّة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة، وهي رسالة في السياسة والحكم قسمتها إلى أربعة أبواب في فضل السلطنة، ومهام من يتولاها، وفضل الوزارة، ومهام الوزير. وقد فرغ منه سنة ١٠٣٢ هـ. نسخة منه

في مكتبة الكونجرس، رقم (١٠٥) الشرق الأدنى في ١٦ ورقة، نسخة كتبت عن نسخة المصنف.

٧٣ ـ نزهة المتفكر، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/ ٦٤١.

٧٤ ـ نزهة الناظرين في تاريخ مَن ولي مصر مِنَ الخلفاء والسلاطين، وهو تاريخ مختصر لمصر مِن قبل الفتح الإسلامي لها ومروراً بكل الدول الإسلامية التي حكمتها حتى الدولة العثمانية في عهد أحمد باشا. نسخة منه في برنستون رقم ٦٠٧ في ١٠٣ ورقات، كتبت سنة ١٠٦٤ م. وأخرى في المغرب، الخزانة العامة بالرباط رقم ٢٣٤٧ كتاب في ٨٤ ورقة. ونسخة في دار الكتب المصرية، ضمن مجموع مئة ورقة (١ ـ ١٧٦) رقم ١١٧٠٦ ح. وأخرىٰ كتبت سنة ١٠٤٢ هـ ورقمها ٢٠٧٦.

٧٥ ـ نزهة الناظرين في الوصول في فضائل الغزاة والمجاهدين، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/ ٦٤٢.

٧٦ ـ نزهة نفوس الأخبار، ومطلع مشارق الأنوار، من نسخة في الأزهرية في مجلد عدد أوراقه ٢٦ ورقة رقم [٢٤١٩].

٧٧ ـ النادرة الغريبة والواقعة العجيبة (مضمونها شكوى من الميموني والحَطّ عليه)، ذكره صاحب إيضاح المكنون ٢/ ٦١٤.

وصف النسخ الخطية، وصحة نسبة الكتاب لمصنفه

النسخة التي اعتمدت عليها في التحقيق كأَصل، هي نسخة المصنف، والتي كتبها بخطه، وقد أَثبتَ عنوانَ الكتاب بخطه: «الشهادة الزكية في ثناء الأَئمة على ابن تيمية».

كذلك النسخة الثانية والتي كُتبت عن نسخة المؤلف. أَثبتت نفس العنوان المذكور آنفاً.

وقد يَسَّر الله لي خلال التحقيق نسختين مِن الكتاب إحداهما بخط مصنفها، كتبت بالجامع الأزهر، سنة ١٠٣٠ هـ بخط نسخ جميل في **٢١** ورقة، **٢٥** سطراً، معدل الكلمات في كل سطر **١٣** كلمة، والمخطوطة في لابدبيرج رقم **٢٤٤**، وهي نسخة نفيسة جداً.

والأُخرى منقولة عن نسخة المصنف، بقلم معتاد، وفيها أَخطاء كثيرة، ويظهر أَنَّ الناسخ ليس مِن أَهل العلم، كتبت سنة **١١٥٧** هـ، في **٢١** ورقة، ضمن مجموع من **١٦٣ - ١٨٤**، **٣٠** سطراً، معدل الكلمات في كل سطر **١٥** كلمة لابذبيرج رقم ٦٧٨.

وقد اعتمدت الأولى في التحقيق لأَنها نسخة المؤلف وأكملت النقص مِنَ الثانية.

أهمية الكتاب :

إن كتاب «الشهادة الزكية» وإن كان في الأصل اختصار لكتاب «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي، فهو قد اشتمل على فصول إضافية، ومعلومات وافية انظر مثلاً ترجمة ابن الوردي، فهي لا توجد في الرد الوافر، وقام بعمل ترجمة مستقلة لابن تيمية على غرار الأئمة. ويظهر أنَّ المصنف قد ألفه بعد تصنيفه لكتاب «الكواكب الدُّرية في مناقب المجتهد ابن تيمية» وذلك لكثرة إحالته عليه في «الشهادة الزكية»، هذا وإنه قد انتهى من «الشهادة الزكية» سنة ١٠٣٠ هـ، أي قبل وفاته بثلاث سنين ـ رحمه الله تعالى ـ .

الشهادة الزكية

في

ثناء الائمة على ابن تيمية

تأليف
مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة (١٠٣٣ هـ)

تحقيق وتعليق
نجم عبد الرحمن خلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالىٰ: مرعي بن يوسف الحَنبلي المَقْدسي، لطف الله تعالىٰ به، آمين.

الحمدُ لله رافعِ مقامِ العلماءِ العاملينَ، وقامعِ أَهل - الزيغِ المائلين.

والصلاةُ والسلامُ على أفضلِ الخلقِ أجمعين، وعلى آلهِ وأصحابهِ الطيبين الطاهرين. وعلى التابعين، وتابعِ التابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

وبعدُ: فهذهِ كلماتٌ منيرةٌ، وعباراتٌ مستنيرة. في ثناءِ الأَئمةِ الأَعلامِ، على شيخِ الإسلام. بَحْرِ العلومِ، تُرْجمانِ القرآن، مفتي الفِرَق أَوحدِ المجتهدين: أَبي العباس، أَحمد، تقي الدين، ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام، مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله بن تيمية.

واخْتُلِفَ: لِمَ قيل: «ابن تيمية»:

فقيل: إنَّ جَدَّهُ محمد بن الخضر[1] حَجَّ على دَرْب «تيما»[2]، فرأىٰ

---

(١) محمد بن الخضر بن محمد «ابن تيمية» أبو عبدالله، الحراني، الحنبلي، فخر الدين، مفسر، خطيب، واعظ، كان شيخ حران وخطيبها. مولده ووفاته فيها. توفي سنة ٦٢٢ هـ. (الوافي بالوفيات: ٣/٣٧٣، والأعلام: ٦/٣٤٦ - ٣٤٧).

(٢) تَيْماء: بُلَيد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ودمشق. (معجم البلدان: ١/٩٠٧، ومراصد الاطلاع: ١/٢٨٦).

هناك طفلة. فلما رجع، وجدَ امرأته قد ولدت بنتاً. فقال: يا تيمية، يا تيمية. فَلُقِّبَ بذلك.

وقيل: إنَّ جدَّه «محمداً» كانت أُمُّهُ تُسَمَّىٰ: «تيمية». وكانت واعظةً، فَنُسِبَ إليها وَعُرِفَ بها.

وُلِد رحمه الله: يوم الإثنين عاشر أو ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة.

وتوفي: سحر ليلة الإثنين، في العشرين مِن ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. عن سبع وستين سنة.

وقد أثنى الأئمةُ الأعلامُ، على هذا الإمامِ، وَلَقَّبُوهُ: «بشيخ الإسلام». وأفردوا مناقِبَهُ بالتصانيف، وتَحلَّت بذكرهِ التواريخ والتآليف.

ولم يتنقص إلا مَنْ جهلَ مقدارَه وخطرَه، ومَنْ جهل شيئاً أنكرَه.

ولقد أنصفَ العلامةُ الإمامُ، قاضي قضاة الإسلام: بهاءُ الدين بن السبكي[١] حيث يقول لبعضِ مَنْ ذكَر لهُ الكلامَ في ابن تيمية فقال:

«والله يا فلان ما يبغض ابنَ تيمية، إلا جاهلٌ أو صاحبُ هوىً. فالجاهلُ لا يدري ما يقول، وصاحبُ الهوى يَصُدُّه هواه عن الحق بعد معرفته به».

ولقد أنصفَ أيضاً: الشيخُ الإمامُ، والحَبْرُ الهمام: محمود بن أحمد العَيني[٢]، إمام الحنفية في زمنه. حيث قال ـ في أثناء كلام طويل ـ في مدحهِ ابن تيمية، وذمِّ مَنْ يعيبه:

---

(١) ترجم له المصنف، وستأتي في رقم (١٣).
(٢) ترجم له المصنف. وستأتي في رقم (١٩).

«وليس هـو إلا كالجُعَـلِ[١] باشتمـام الورد، يمـوت حتفَ أنفه. أو كالخفّاش يتأذى ببهور سَنا الضوء، لسوء بصره وضعفه. وليس لهم سجية نَقّادة، ولا رَوِّية وقّادة. وما هم إلا صلقع[٢] بلقع[٣] سلقع، صلمعه مِن قلمعـه، وهيـان إن بيـان، وهي بن بي، وصُـل بن ضـل، وضـلال بن التلال»[٤].

ومِنَ الشائع المستفيض: أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية. مِنْ شُمِّ العرانين[٥] الأفاضل، ومِنْ جُمِّ براهين الأماثـل. وأطال العَينيُّ الكلام في مدحه. كما سيأتي.

واعلم أَيَّدَكَ الله: أن كثيراً مِنَ الأئمة الأماثل، والعلماء الأفاضل، قد أفردوا مناقب الشيخ تقي الدين ابن تيمية في تصانيف مشهورة، وتراجم في التواريخ مذكورة.

وقد ذكرَ غـالبَ العلماءِ، الذين أثنـوا عليه: صـاحبُ كتابِ «الـرَدّ الوافر»[٦]. تأْليف الإمام العـالم، الأوحد، القـدوة، الحافظ أبي عبـدالله، محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن ناصر الدين الشافعي[٧].

---

(١) الجُعَل: «دابة سوداء من دَوابِّ الأرض، وجمعه: جِعْلانٌ، وهو حـيـوان معروف كالخنفساء» (لسان العرب: ١١/١١٢) بتقديم وتأخير.

(٢) صَلْقَع: الإعدام، وسلقع إتباع لِبَلْقَع وهو القَفْر، ولا يُفْرد. (لسان العرب: ١٠/٧٣ ـ ٧٤).

(٣) الخالي من كل شيء، يقال: مكانٌ بَلْقَعٌ، وطريقٌ بَلْقَعٌ، وجمعها: بلاقع (المعجم الوسيط: ١/٦٩).

(٤) سيأتي شرح «المصنف» لهذه الكلمات الغريبة في «تقريظ العَيني» رقم «١٩» فلينظر هناك. واستعمال أمثال هذه الكلمات الغريبة ليس من البلاغة في شيء، بل بلاغة الكلام وجماله في جزالته ووضوحه.

(٥) العرانين: ومفردها: العِرْنين وهو: ما صلب من عَظْمِ الأنف، حيث يكون الشَّمَمُ. ويقال: هم شُمّ العرانين: أعِزَّةٌ أُباتٌ. وعـرانينُ القـوم: ساداتُهم وأشـرافُهم. (المعجم الوسيط: ٢/٦٠٣).

(٦) طبع بتحقيق الأستاذ الفاضل زهير الشاويش سنة ١٣٩٣ هـ، المكتب الإسلامي. بيروت.

(٧) توفي سنة ٨٤٢ هـ انظر ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/٢٤٣ ـ ٢٤٥، الدارس للنعيمي: ١/٤١ ـ ٤٣، ذيل تذكرة الحفاظ ٣٧٨، طبقات الحفاظ للسيوطي: ص ٥٤٥.

وقد أحببت: أن أذكرَ هنا بعضَ ذلك على سبيل التلخيص، مع زوائد لطيفة، رجاءَ أن أدخل في سلك أُولئك الأئمة، ومَنْ كانوا بين أظهر النَّاسِ رحمة.

١ ـ فمنهم: ابن سَيِّد النَّاس[١]:

وهو الإمامُ الحافظُ، الفقيهُ، العالمُ، الأديبُ، البارعُ، فتحُ الدين، أبو الفتح، محمد بن الحافظ أبي عمرو محمد بن الحافظ العلامة الخطيب، أبي بكر محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحيىٰ بن أبي القاسم، بن سَيِّد الناس، اليعمري، الأندلسي الإشبيلي، ثم المصري، الشافعي.

ولد بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة، وتوفي في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة، ودُفن بالقرافة، عند ابن أبي جمرة. وكانت جنازتُهُ مشهودة. وله مصنفات مفيدة، ومؤلَفات حميدة.

قال رحمه الله في ترجمته لابن تيمية[٢] ـ بعد أن ذكـرَ ترجمـةَ الحافظ «المِزِّي»[٣] ـ :

وهو الذي حداني على رؤيـة الشيخ الإمـام، شيخ الإسـلام: تقي الدين، أبي العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية.

فألفيتُه: ممن أدرك مِنَ العلوم حظاً، وكاد أن يستوعب السُّنَنَ والآثارَ حفظاً.

إنْ تكلَّمَ في التفسير، فهو حاملُ رايته، أو أفتى في الفقهِ، فهو مُدْرِكُ

---

(١) الدرر الكامنة: ٤/٣٣٠، ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥٠، حسن المحاضرة: ١/٣٥٨، شذرات الذهب: ٦/١٠٨، والرد الوافر: ص ٢٦.

(٢) قاله في «جواب سؤالات أبي العباس بن الدمياطي الحافظ» (ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٠).

(٣) انظر «العقود الدرية» لابن عبد الهادي: ص٢٦، والرد الوافر: ص٢٦، والكواكب الدُّرِّية: ورقة ٣ أ.

غايَته، أو ذاكرَ في الحديث، فهو صاحبُ عِلْمِهِ، وذو رِوايتِهِ، أو حاضِرَ بالملل والنِّحل، لم يُرَ أوسعَ مِنْ نِحْلَتِهِ في ذلك، ولا أرفعَ مِنْ درايتِهِ.

بَرَّزَ في كلِ فَنٍ على أبناءِ جِنسِهِ، ولم تَرَ عينُ مَنْ رآه مثلَه، ولا رأتْ عَينُهُ مثلَ نفسه.

كان يتكلمُ في التفسير، فيحضرُ مجلسَه الجَمُّ الغَفير، وَيَرِدُون مِن بحرِهِ العَذِب النَّمير. ويرتعونَ مِن ربيعِ فضله، في روضِهِ وغديرِهِ. إلى أن دَبَّ إلى أهلِ بلدِهِ داءُ الحسد، وأكبَّ أهلُ النظر منهم على ما يُنْتَقَدُ عليه مِن أمور المعتقد. فحفظوا عنه في ذلك كلاماً، أوسعوه بسببه ملاماً، وَفوقوا لتبديعه سهاماً. وزعموا أَنَّهُ خالفَ طريقهم، وفرَّق فريقَهم. فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضَهم وقاطعوه.

ثُمَّ نازَعَ طائفةً أُخرى، ينتسبون مِنَ الفقر إلى طريقة، ويزعمون أنهم على أدقِّ باطن منها وأجلى حقيقة. فكشفَ تلكَ الطرائق، وذكرَ لها ـ على ما زعم ـ بوائق. فآضتْ(١) إلى الطائفة الأُولى مِن منازعته، واستعانت بذوي الضَغْنِ عليه مِن مقاطعته، فوصلوا بالأُمراء أَمرَهُ، وأَعمل كلٌ منهم في أَمرِهِ فِكْرَه، فرتَّبوا محاضر، وألَّبوا للسَّعي بها بين الأكابر، وسعوا في نقله إلى المملكة بالديار المصرية، فَنُقِل، وأُودِع السجن ساعة حضوره، واعْتُقِل، وَعَقَدوا لإراقة دَمِهِ مجالس، وحشدوا لذلك قوماً مِن عُمَّارِ الزوايا وسكانِ المدارس، مِن مجاملٍ في المُنازعة، مُخاتلٍ بالمخادعة، ومِن مجاهرٍ بالتكفير، مبارزٍ بالمقاطعة. يَسُومُونَهُ ريبَ المنون، ﴿وَرَبُّكَ يَعلمُ ما تُكِنُّ صدورُهم وما يُعلنون﴾ [القصص: ٦٩].

فَرَدَّ اللهُ كيدَ كلٍ في نَحْره، ونجاه على يد مَنْ اصطفاه، ﴿واللهُ غَالبٌ على أَمره﴾ [يوسف: ٢١].

(١) أي صارت ورجعت.

ثُمَّ لم يَخْل بعد ذلك مِن فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طولَ عمره مِن محنةٍ إلا إلى محنة. إلى أن فُوِّضَ أمرُهُ إلى بعض القضاة، فَتَقَلَّدَ ما تَقَلَّدَ مِن اعتقاله، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه - إلى رحمة الله - وانتقاله. وإلى الله تُرجع الأُمور، وهو المُطَّلع على خائنة الأعين، وما تُخفي الصدور.

وكان يومه مشهوداً، وضاقت بجنازته الطريق، وانتابها المسلمون مِن كل فجٍّ عميق. يَتَبَرَّكُونَ بمشهده ليوم تقومُ الأشهاد، ويتمسكون بسريره، حتىٰ كَسَروا تلكَ الأعواد.

ثم روى عنه «ابن سَيِّد الناس»: حديثاً فقالَ: قرأتُ على الشيخِ الإمام، حاملِ رايةِ العُلُوم، ومدركِ غايةِ الفُهوم: تقي الدين، أَبي العباس، أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، الحراني بالقاهرة، ثم ذكر سندَهُ إلى الحسن بن عرفة[1]، فروى مِن جزئه حديثاً.

٢ - ومنهم: ابن دَقيق العِيد[2]:

وهو الشيخُ العلامةُ الإمامُ، أَحد شيوخِ الإسلام. قاضي قضاةِ المسلمين، عمدةِ الفقهاءِ والمحدثين. تقي الدين أَبو الفتح، محمد بن علي بن وهب بن مطيع، المنفلوطي، المالكي، الشافعي. مات عام اثنين وسبعمائة.

كان إماماً حافظاً، فقيهاً ذا تحرير، مالِكِياً، شافعياً، ليس له نظير، وكان يُفتي بالمذهَبين، ويُدَرِّس فيهما «بمدرسةِ الفاضل» على الشرطين، وله اليَدُ الطُولى في معرفةِ الأَصلين.

ولَمَّا قَدِم التَّتارُ إلى أَطرافِ البلادِ الشاميَّة - سنة سبعمائة - رَكِب ابنُ

---

(١) الحسن بن عرفة، أَبو علي العبدي، بغداديٌّ، مؤدِّب، من رجال الحديث، كان مُسْنِدُ زمانه، توفي بسامراء سنة (٢٥٧) هجرية، وله جزء مرويٌّ على العصور. انظر شذرات الذهب: ١٣٦/٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٩٣/٤، تذكرة الحفاظ: ١٤٨١/٤، حسن المحاضرة: ٣١٧/١، شذرات الذهب: ٥/٦، البدر الطالع: ٢٢٩/٢، والرد الوافر: ص ٥٨.

تيميةَ على البريد مِن دمشق إلى مصر، فدخلها في ثامن يوم، وحيث السلطان والعساكر على قتال التتار، واجتمع به أعيانُ البَلد، ومنهم: ابنُ دقيقِ العيد فسمع كلامَ ابن تيمية. وقال له بعد سماع كلامه[1]: «ما كنتُ أظنُّ أنَّ الله تعالى: بقي بخلق مثلك».

وسُئِل ابنُ دقيق العيد، بعد انقضاء ذلك المجلس، عن ابن تيمية. فقال: «هو رجلٌ حُفَظَة»[2]. فقيل له: هلّا تكلمتَ معه؟ فقال: «هو رجلُ يحبُّ الكلامَ، وأنا أُحب السُكوت»[3].

وقالَ ابنُ دقيق العيد ـ أيضاً[4] ـ: «لَمَّا اجتمعت بابن تيمية رأيتُ رجلاً العلومُ كلُّها بين عينيه، يأخذُ منها ما يُريد، ويدعُ ما يُريد».

٣ ـ ومنهم: ابن الوَرْدي[5]:

زين الدين، عمر. كان علامةً متفنناً في العلوم، ماهراً في المنثور والمنظوم. وله الأشعارُ الرائقةُ، والمقاطيعُ الفائقةُ. وكان باهراً في العربية، دَرَّس وأعادَ وأفتى، وله مؤلفاتٌ مفيدةٌ؛ منها: «البهجة نظم الحاوي

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٢، والكواكب الدُّرِّية: ورقة ٣ أ.
(٢) أي كثير الحفظ، على وزن هُمَزَةٍ.
(٣) وكان هذا ديدنه ـ رحمه الله ـ إذ كان يقول: ما تكلمتُ بكلمة ولا فعلتُ فعلاً إلا أعددتُ له جواباً بين يدي الله ـ تعالى ـ، مضافاً إلى ذلك عامل السِّن، إذ كان سنّهُ آنذاك (٧٥ عاماً). والحقُّ أنَّ مسألة الكلام مسألة نسبية، فليس أجمل ولا أحسن مِن كلام الناصح الآمر بالمعروف، الداعي إلى الحق، وقد يحسبه الأحمقُ مهذاراً، والنصيحة لله أنطقته، وكذلك كان ابن تيمية ـ رحمه الله ـ. فهو قد حفظ لسانه مِنَ اللغو، فوهبه الله لساناً جريئاً في موقف صدق أزاء ظرف يموج بالفتن، وتعصف به الأخطار مِن كل مكان. فكان لموقفه ذاك أعظم الأثر في الانتصار على التتار، وقمع كثير من أهل الأهواء والفجار. انظر فصل دعوة القول الطيب في «العوائق» ص ١٥٩ ـ ١٧٢.
(٤) الكواكب الدُّرِّية: ورقة ٣ أ.
(٥) عمر بن مظفر بن عمر، أبي الفوارس المعري، الحلبي، الشافعي: طبقات الشافعية: ٦/٢٤٣، النجوم الزاهرة: ١/٢٤٠ ـ ٢٤١، الدرر الكامنة: ٣/١٩٥، شذرات الذهب: ٦/١٦١ ـ ١٦٢.

الصغير». تُوُفيَ بحلب سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

قال في رحلتِهِ ـ لَمَّا ذكَر علماءَ دمشق[١] ـ : «وتركتُ التَعَصُّبَ والحميَّةَ، وحضرتُ مجالسَ ابن تيمية. فإذا هو بيتُ القصيدة، وأَوَّلُ الخَريدة[٢]. علماءُ زمانهِ فَلَكٌ، هو قُطْبُهُ. وجِسْمٌ، هو قَلبُهُ. يزيدُ عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القَطْر.

بحثتُ بينَ يديه يوماً، فأَصَبْتُ المعنى. فَكَنَّاني، وَقَبَّل بين عَيْنَيَ اليمنى[٣]. فقلت[٤]:

إنَّ ابنَ تيميةَ في كلِّ العلوم واحدُ
أَحييتَ دينَ أحمد وشرعَهُ يا أَحمدُ

ورثاه بعد موته «بقصيدة»[٥]، يقول فيها:

قلوبُ النَّاسِ قاسيةٌ سِلاطُ — وليسَ لها إلى العليا نَشاطُ
أَينشط قطُ بعدَ وفاةِ حَبْرٍ — لنا مِن نثرِ جوهرِهِ التقاطُ
تقي الدين ذو وَرعٍ وعلمٍ — خُروقُ المُعْضِلاتِ بهِ تُخاطُ
قضى نَحباً وليسَ لَهُ قرين — ولا لنظيره لُفَّ القماط
فتىً في علمِهِ أَضحى فريداً — وحَلُّ المشكلات به يُناط

---

(١) الكواكب الدُّرِّية: ورقة ٣ أ.
(٢) الخَريدة: اللؤلؤة قبلَ ثَقْبها، والبكر من النساء (لسان العرب: ٣/١٦٢) بتقديم وتأخير.
(٣) تاريخ ابن الوردي: ٢/٤٠٧.
(٤) الكواكب الدُّرِّية: ورقة ٣ أ.
(٥) ذكر ـ ابن الوردي ـ هذه المرثية كاملة في تاريخه، المسمى: «المختصر في أخبارِ البَشَر» ٢/٤٠٦، وفيها بعض اختلاف. ومطلعها فيه:

عثا في عِرضه قوم سلاط — لهم من نثر جوهره إلتقاط
تقي الدين أحمد خير حَبر — خروق المعضلات به تخاط

وكذلك ذكرها «ابن ناصر الدين الدمشقي» في «الرد الوافر» ص ١٦٣ بهذا الشكل الذي هو في «التاريخ»، والعقود الدرية، ص٥٢٣، وهو الصواب، والله أعلم.

وهي طـويلة. وقد ذكـرتُها كلَّهـا، مع مـراثي عديـدة في كتـاب: «المناقب»، فليراجع[١].

٤ ـ ومنهم: أبو حيان النَّحوي[٢]:

وهو الشيخُ الإمامُ العلامةُ، عَلَمُ القُراءِ، أُستاذُ النُّحاةِ والأُدباءِ. جمالُ المُفَسِّرين، أثيرُ الدين. أبو حَيَّان. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأَندلسي، الجياني، الغرناطي، ثُمَّ المصري، الظاهري.

ولد بأَعمال غرناطة ـ قاعدة بلاد الأَندلس ـ في شوال سنة أَربع وخمسين وستمائة.

وتوفي في صفر، سنة خمس وأربعين وسبعمائة. بعد أَن أَضَرَّ في آخر عمره.

قال القاضي الفاضل: ابن فضل الله العُمَري[٣]: «[٤] ولَمّا سافر ابنُ تيمية على البريد، سنة سبعمائة، وحضَّ أَهل مصر على الجهاد في سبيل الله، وأَغلظ في القول للسلطان والأُمراء. ثم رُتِّبَ له في مدة مقامه بالقاهرة في كل يوم: دينار وتُحفة، وجاءَتْهُ بُقْجَة[٥] قماش، فلم يقبل مِن ذلك شيئاً. قالَ: وحضر عنده شيخُنا، أَبو حيَّان. وكان علامةَ وقته في النحو. فقال: «ما رأت عينايَ مثلَ ابن تيمية». ثم مَدَحَهُ أَبو حيان ـ على البَديهة ـ في المجلس[٦]،

(١) الكواكب الدرية ورقة: (٣٧ ب) وهي في «٢٨» بيتاً. وقد ذكرها بنفس مطلعها هنا المغاير لما في «تاريخ ابن الوردي» صاحب القصيدة.

(٢) طبقات الشافعية: ٣١/٦ ـ ٤٤، الدرر الكامنة: ٣٠٢/٤ ـ ٣١٠، النجوم الزاهرة: ١١١/١٠ ـ ١١٥، حسن المحاضرة: ٣٠٧/١ ـ ٣٠٩، والرد الوافر: ص ٦٢.

(٣) ستأتي ترجمته في رقم (١٢).

(٤) تاريخ ابن الوردي: ٤١٠/٢.

(٥) بُقْجَة: مُـوَلَّـد مُبْتَـذَل، مُعَـرَّب: بـوغجـة. مُصَغَّـر: بـوغ، وهـو ظـرف مـن القماش ـ معروف ـ (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل، لشهاب الدين الخفاجي: ص ٤٨).

(٦) ديوان أبي حيّان ص ٤٤٧ بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، وهذه القصيدة من «البسيط».

فقال:

لَمَّا أتينا تقيَّ الـدينِ لاحَ لنـا	داعٍ إلى اللهِ فَـرْدٌ ما لَهُ وَزَرُ[١]
على مُحَيَّاه مِن سِيما الأُولى صَحبوا	خـيرَ البريَّـةِ نُورٌ، دونَـهُ القمـرُ
حَبْرٌ[٢] تسربل منه دهره حِبَرا[٣]	بَحْر تَقاذَفَ مِن أَمـواجه الـدُّرَرُ
قام ابنُ تيميةٍ في نَصْرِ شرعتِنـا	مقامَ سَيِّد تَيْم[٤] إذ عَصَتْ مُضَرُ
فـأظهـر الحقَّ إذْ آثـاره دُرِسَتْ	وأَخْمَدَ الشرَّ إذْ طارتْ لَهُ الشَرَرُ
كُنَّا نُحدِّثُ عن حَبْرٍ يجيء ـ فَها	أنتَ ـ الإمامُ الذي قد كانَ يُنْتَظَرُ

قال: ثم دارَ بينهما كلامٌ، فيه ذكر سيبويه، فقال ابنُ تيميـة: فيه كلاماً، نافرَهُ عليه أبو حيان، وقطعَهُ بسببه. ثم عادَ مِن أَكثر الناس ذَمّاً له، واتخذه له ذنباً لا يُغْفَر.

وقال الشيخ زينُ الدين ابن رجب في كتابه: «الطبقات»[٥] عن هذه الأبيات: ويقال إنَّ أبا حَيَّان لم يَقُلْ أبياتاً خيراً منها ولا أفحل. انتهى.

وهذه القصَّة، ذكرها الحافظُ العلامةُ، ابنُ كثير، في «تاريخه». وهي: أن أَبا حيّان تَكَلَّم مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية، في مسألة في النَّحو، فقطعه ابن تيمية فيها، وأكزمه الحُجَّة. فذكر أَبو حيّان كلامَ سيبويه، فقال ابن تيمية: ـ يفشر سيبويه ـ: أَسيبويه نبيّ النحو، أَرسله الله به حتى يكون معصوماً؟ سيبويه أَخطأَ في القرآن في ثمانين موضعاً، لا تَفْهَمها أنتَ ولا هو.

---

(١) وَزَر: المعين والمساعد.

(٢) الحَبْر: العالِم (المعجم الوسيط: ١/١٥٢).

(٣) حِبرا: جمع حِبرة، وهو ثوب من قطن أو كتان مخطط، كان يصنع باليمن (لسان العرب: ٤/١٥٩).

(٤) سَيِّدُ تيم: هو أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ والمقصود تشبيه ابن تيمية به، لموقفه ـ رضي الله عنه ـ من المرتدين بعد وفاة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

(٥) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٢.

قال: وكان ابن تيمية لا تأخذُهُ ـ في الحق ـ لومة لائم، وليس عنده مداهنة. وكان مادِحُهُ وذامُّهُ ـ في الحق ـ عنده سواء.

٥ ـ ومنهم ابن القيم[١]:

وهو العلامة، شمس الدين الحَنْبَلي، أحد المحققين، عَلَم المصنفين، نادرة المفسرين، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الزرعي الأصل، ثم الدمشقي، ابن قيم الجوزية، وتلميذ ابن تيمية. له التصانيف الأنيقة، والتآليف التي في علوم الشريعة والحقيقة.

ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة، ومات في رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بدمشق.

وكان قد لازمَ ابنَ تيمية، وأخذَ عنه علماً جَمّاً. فكان ذا فنون من العلوم: صاحب إدراك لسرائر المنطوق والمفهوم. وبرع في علم الحديث، بحيث انتهت إليه ـ فيه ـ الرئاسة.

قال الحافظ، أبو بكر، محمد بن المحب[٢]: قلتُ لشيخنا الحافظ المِزِّي: ابنُ القيم في درجةِ ابنِ خُزَيمة؟ فقال: هو في هذا الزمان كابنِ خُزَيمةَ في زمانه[٣].

ومن مصنفاته: «زاد المعاد في هدي خير العباد»[٤]، في أربعة

---

(١) أنظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/٢٣٤، والنجوم الزاهرة: ١٠/٢٤٩، والدرر الكامنة: ٣/٤٠٠، وبغية الوعاة: ص٢٥، وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/١٦٨، والرد الوافر: ص ٦٨.

(٢) محمد بن عبدالله بن أحمد بن المحب السعدي، المقدسي ثم الصالحي، الحنبلي، الشهير بالصامت، لقب بذلك لكثرة سكوته عن فضول الكلام، وكان يكره أن يدعى ـ بهذا اللقب ـ بين الأنام، توفي سنة ٧٨٨ هـ. أنظر: الرد الوافر ص ٤٧ ـ ٤٩.

(٣) أنظر الرد الوافر: ص ٦٨.

(٤) طبع بتحقيق الشيخ المحدث شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٩٨١ م.

مجلدات، وكتاب «سفر الهجرتين وباب السعادتين»[١].

قال رحمه الله في ترجمته «لابن تيمية»: شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق، ونصرة الدين، الداعي إلى الله ورسوله، المجاهد في سبيله. الذي أضحك الله به مِنَ الدين ما كان عابساً، وأحيىٰ مِنَ السُنَّة ما كان دارساً. والنور الذي أطلعَهُ الله في لَيلِ الشُّبهات، فكشفَ به غَياهب الظُّلمات. وفتحَ به مِنَ القلوب ـ مقفلها ـ، وأزاحَ به عن النفوس ـ عِلَلها ـ. فقمع به زيغ الزائغين، وشَكَّ الشاكين، وانتحال المبطلين، وصدقت به بشارة رسول رب العالمين: يقول ﷺ: «إن اللهَ يبعثُ لهذه الأُمة على رأسِ كل مائة سنة مَنْ يجدد لها دينها»[٢]، وبقوله: «يحملُ هذا العلمَ، مِن كلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ، يَنْفَونَ عنه: تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين»[٣].

وهو الشيخُ العلامةُ، الزاهدُ، العابدُ، الخاشعُ، الناسكُ، الحافظُ، المُتَّبعُ: تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام، أبي المحاسن، عبد الحليم بن شيخ الإسلام ومفتي الفِرَق، علامة الدنيا، مجد الدين، عبد السلام، ابن الشيخ الإمام، العلامة الكبير، شيخ الإسلام، فخر الدين، عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، قدس الله روحه وَنوَّر ضريحه.

قال ابن القيم: وسمعتُ شيخَ الإسلام ابن تيمية يقول[٤]: «إنَّ في الدنيا جَنَّة، مَنْ لم يدخلها، لم يدخل جَنَّة الآخرة».

---

(١) طبع بتحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع الدوحة الحديثة.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٢٩١) في أول الملاحم، والحاكم في «المستدرك» كتاب الملاحم: ٥٢٢/٤ وأقَرَّهُ الذهبي. كلاهما عن أبي هريرة.

(٣) بغية الملتمس ص ٣ ـ ٤، و«شرف أصحاب الحديث» ص ١١، ٢٨، ٢٩ عن معاذ بن جبل وهو حديث حسن بطرقه.

(٤) الرد الوافر: ص ٦٩.

وكان يقول[١]: «بالصَبر واليقين؛ تُنال الإمامةُ في الدين».

وكان يقول: «لا بدَّ للسالك إلى الله مِن هِمَّة تُسَيِّرُهُ وتُرَقِّيهِ، وعلمٌ يُبَصِّرُهُ ويهديه».

وقال[٢]: «العارف يسير إلى الله عز وجل بين مشاهدة المِنّة، ومطالعة عَيبِ النَّفْس». وكان يَتَمَثَّل كثيراً:

عوى الذئبُ، فاستأْنَستُ بالذئب إذْعَوى وصَوَّتَ إنسانٌ. فَكِدتُ أطيرُ[٣]

وكان يتمثل أيضاً:

وأخْـرُجُ مِنْ بينِ البُيُـوتِ لَعَلَّني أحدِّثُ عنكَ النَّفسَ في السِرِّ خاليا[٤]

٦ - ومنهم ابن الزَمْلَكاني[٥]:

وهو الشيخ الإمامُ العلامةُ، قاضي القضاة، جمالُ المناظرين، كمالُ الدين، أبو المعالي، محمد بن أبي الحسن، علي بن عبد الواحد بن خطيب زَمْلَكاه[٦] الأنصاري الشافعي.

أخَذ النَّحوَ عن ابن مالك، والفقهَ عن الشيخ تاج الدين بن عبد الرحمن، والأُصولَ عن قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي.

---

(١) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم: ص ٣٥٢، منزلة الصبر وفيه: ثم تلا قولَ الله - تعالى - : ٣٢: ٢٤: ﴿ وجعلناهم أئمةً يَهدون بأمرنا لما صبروا، وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾.

(٢) الرد الوافر: ص ٦٩.

(٣) البيت للأُحيمر السعدي، كتاب الحيوان للجاحظ: ١/ ٣٧٩.

(٤) البيت للمجنون من قصيدته التي مطلعها:

تـذكرتُ ليـلى والسنـينَ الخُـواليـا وأيامَ لا نخشى على اللَّهـوِ نـاهيـا

ديوان مجنون ليلى ص ٢٩٤.

(٥) طبقات الشافعية: ٥/ ٢٥١ - ٢٥٩، النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٧٠ - ٢٧١، الوافي بالوفيات: ٤/ ٢١٤ - ٢٢١، الدرر الكامنة: ٤/ ٧٤ - ٧٦.

(٦) زَمْلَكا: قرية بغوطة دمشق، وربما لها «نوناً» فقالوا: زَمْلَكان.

وكان كثير الفضل، سريع الإدراك، يتوقد ذكاء وفطنة وأجمع النَّاسُ على فضلِهِ، وانتهت إليه رئاسةُ المذهب في عصره. وتولىٰ قضاء حلب، وأَقامَ بها إلى أَنْ طُلبَ إلى مصر، ليتولىٰ قضـاء دمشق. فمات بمـدينة بلبيس، في رمضان، سنة سبع وعشرين وسبعمائة. وحُمل إلى القرافة، ودُفن بجوار قبه الإمام الشافعي. وكان مولده في شوال، سنة ست أو سبع وستين وستمائة.

تولى مناظرة شيخَ الإسلام ابن تيمية، غير ما مَرَّة، ومع ذلك، كان يعترف بإمامته، ولا ينكر فضله.

قالَ مرةً ـ عن الشيخ تقي الدين[١] ـ : «كان إذا سُئِلَ عن فَنٍّ مِن العلم ظَنَّ الرائي والسامع: أنَّهُ لا يعرف غير ذلك الفَن، وحكم أَنَّ أحداً لا يعرف مثلَه».

وقالَ الحافظُ ابنُ رجب في طبقاته[٢]: «وبلغني مِن طريق صحيح عن ابن الزَمْلَكاني: أَنَّه سئل عن الشيخ ـ يعني ابن تيمية ـ فقـال: لـم يُرَ من خمسمائة سنة ـ أو قال أربعمائة سنة ـ ، الشَّكُ مِنَ النَّاقل وغالب ظَنِّه أَنَّهُ قالَ: مِن خمسمائة سنة ـ أَحفظ منه». انتهى.

وقال ابن الزَّمْلكاني ـ أيضاً[٣] ـ : لقد أُعطي ابن تيمية اليَد الطولى في حسنِ التصنيف، وجودةِ العبارة والترتيبِ، والتقسيمِ والتبيين. وقد أُلان الله لَهُ العلومَ، كما أَلانَ الحديد لداود[٤]، كان إِذا سُئِلَ عن فَنٍّ مِن العلم ظَنَّ الرائي والسامع: أَنَّهُ لا يعرف غير ذلك الفن، وحكَمَ أَن أَحداً لا يعرف

(١) حكاه عنه ابن عبد الهادي في كتابه «طبقات الحفاظ» في ترجمة الشيخ ابن تيمية، وهي خاتمة تراجم الطبقات، أُنظر الرد الوافر: ص ٥٨، وذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٢، والكواكب الدُّرِّية: ورقة ٤ أ.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٣.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٢، الرد الوافر: ص ٥٨، والكواكب الدُّرِّية: ورقة ٣ ب ـ ٤ أ، والعقود الدرية: ص ٣٨٩.

(٤) انظر المختصر في أخبار البشر لابن الوردي: ٢/٤٠٦.

مثلَه. وكانَ الفقهاءُ ـ مِن سائر الطوائف ـ إذا جلسوا معه استفادوا في مذهبهم منه، ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك. ولا يُعْرَف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم مِن العلوم ـ سواء كان مِن علوم الشرع، أم مِن غيرها ـ إلا فاقَ فيه أهله والمنتسبين إليه.

وقد رُويَ واشتُهِرَ، وذُكِرَ وانْتَشَرَ؛ ما كَتبهُ الشيخُ كمالُ الدين ابن الزَمْلَكاني، على كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل»[1] تأْليف ابن تيمية. وهو ما نَصُّه: «مِن مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا، الشيخ الإمام العالم العلامة الأَوحد، البارع الحافظ الزاهد الورع، القدوة الكامل العارف، تقي الدين، شيخ الإسلام، سيد العلماء، قدوة الأئمة الفضلاء. ناصر السُنَّة، وقامع البدعة، حجة الله على العباد، راد أَهل الزيغ والعناد، أَوحد العلماء العاملين، آخر المجتهدين، أَبي العباس، أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبدالله بن أَبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني. حفظ الله على المسلمين طول حياته، وأَعاد عليهم مِن بركاته. إنَّهُ على كل شيءٍ قدير».

وكتب ابنُ الزَمْلَكاني ـ أَيضاً ـ بخطه علىٰ كتاب «[2]رفع الملام عن الأئمة الأَعلام» ما نصه[3]: «تأْليف الشيخ الإمام العلامة الأَوحد، الحافظ المجتهد، الزاهد العابد القدوة، إمام الأَئمة، قدوة الأُمة، علامة العلماء، وارث الأَنبياء. آخر المجتهدين، أَوحد علماء الدين. بركة الإسلام، حجة الأَعلام. برهان المتكلمين، قامع المبتدعين، محيي السُنّة، ومَن عظمت بنفعه علينا المِنَّة. وقامت به على أَعدائه الحُجة، واستبانت ببركته وهديه المحجة. تقي الدين

---

(١) وهذا الكتاب موجود في مكتبة الأستاذ «زهير الشاويش» تحت رقم ٧١٤ وعليه تقريظ «ابن الزملكاني»، والنسخة كتبت سنة ٧١٤ هـ، أي: قبل وفاة ابن تيمية وابن الزَمْلَكاني بثلاث عشرة سنة. (ذكر ذلك الأُستاذ زهير الشاويش في مقدمة تحقيقه للرد الوافر)، والكواكب الدُرِّية: ورقة ٤ أ.

(٢) وهو كتاب قَيِّمٌ حافل، وقد طبع في دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، ١٩٦٤ م.

(٣) الكواكب الدُرِّية: ورقة ٤.

أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية. أعلى الله مناره، وشيَّد مِن الدين أركانه». ثُمَّ قال[١]:

مـاذا يقـولُ الـواصفـونَ لَـهُ وصفـاتُـهُ جَلَّت عـن الحَصْـرِ
هـو حُـجَـةُ اللهِ قـاهـرةٌ هـو بيننا أُعجـوبـة الـدَّهْـرِ
هـو آيـةٌ في الخـلق ظـاهـرة أنـوارُهـا أربت عـلى الفجـر

٧ ـ ومنهم الحافظ الذَّهَبي[٢]:

وهو الشيخُ الإمامُ، الحافظُ الهمامُ، مفيدُ الشام، ومؤرخُ الإسلام. ناقدُ المحدثين، وإمامُ المُعَدِّلين والمجرحين. إمامُ أهل التَّعديل والجرح، والمعتمدُ عليه في المَدْح والقَدْح. شمسُ الدين أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن عثمان التركماني، الفارقي الأصل ثم الدمشقي.

وُلِدَ سنة ثلاث وسبعين وستمائة، ومات بدمشق سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

ومشيخته بالسماع والإجازة نحو ألف شيخ وثلاثمائة، يجمعهم «معجمه الكبير»[٣].

وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل، عالماً بالتفريع

(١) انظر: تاريخ ابن الوردي «المختصر في أخبار البشر: ٢/٤١٠، وذيل طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٢، والرد الوافر: ص ١٦٠، ذكر فيه بيتان فقط، والعقود الدرية: ص ٣٨٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ٢/١٦٣، النجوم الزاهرة: ١٠/١٨٢، الدرر الكامنة: ٤/٤٢٦، شذرات الذهب: ٦/١٥٣، البدر الطالع: ٢/١١٠، الرد الوافر: ص ٣١، وقد ترجم له الدكتور بشار عواد معروف ترجمةً وافيةً قَيِّمةً بعنوان: «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» طبع في القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٧٦ م. وأودَعَها كاملة في المجلد الأول من كتاب «سِير أعلام النُّبلاء» طبع في بيروت، مؤسسة الرسالة، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وجماعة من الفضلاء.

(٣) مخطوط، ويسمى: معجم الشيوخ الكبير، منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية، رقم ٦٥ مصطلح الحديث.

والتأصيل. إماماً في القراءات، فقيهاً في النظريات. له دربة بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات. قائماً بين الخلف، بنشر السنّة ومذهب السلف.

ومن كلامه ـ رحمه الله ـ :

الفقْهُ قال اللهُ قال رسولُهُ إن صحَّ، والإجماعُ فاجهد فيهِ
وحذار مِن نَصْبِ الخلافِ جهالةً بين النَّبيِّ وبينَ رأيِ فقيهِ

وله المؤلفات المفيدة، والمصنفات السديدة، منها: «تاريخ الإسلام»[1] في عشرين مجلداً، و«سِيَر النُّبلاء»[2] في عشرين مجلداً، و«ميزان الإعتدال في نقد الرجال»[3]، وغير ذلك.

وهو الذي قال فيه بعضُ العلماء[4] الأعلام، عند اجتماعه به بدمشق والشام:

ما زلتُ بالسمع أهواكم وما ذكرت أخباركم قطُّ إلا مِلْتُ مِن طَرَبِ
وليسَ مِن عجبٍ أن مِلْتُ نحوكُمُ فالناسُ بالطبعِ قد مالوا إلى الذَّهبِ[5]

وقد تَرجمَ الذهبيُّ ـ هذا ـ ابنَ تيمية؛ في عِدَّةِ مواضع، وأثنى عليه ثناءً

---

(١) و«تاريخ الإسلام» كتاب حافل ضخم، يقع في ٢١ مجلدة خَطِّيَّة، وفيه من التراجم ما لا يوجد في غيره من الكتب. وقد نُشر منه ٦ أجزاء بعناية حسام الدين القدسي. ومؤسسة الرسالة عازمةٌ ـ إن شاء الله ـ على نشر هذا الكتاب عند فراغها من نشر «سير أعلام النبلاء» وعسىٰ أن يكون قريباً. وسيتولى تحقيق هذا الكتاب الضخم الشيخ شعيب الأرنؤوط، والدكتور بشار عواد ومَن يعاونهما. وقد سمعت من الشيخ «شعيب» أنهما قد باشرا في ١٩ تحقيق «السيرة النبوية، والمغازي» وقطعا فيهما شوطاً لا بأس به.

(٢) طبع بإشراف وتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، وآخرون في مؤسسة الرسالة، ببيروت، ١٩٨١ م.

(٣) طبع بتحقيق الأُستاذ علي محمد البجاوي، دار إحياء التراث العربية بالقاهرة، ١٩٦٣ م.

(٤) وهو الإمام الأوحد أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي الأطرابلسي الشافعي. وأنشدها في حق الذهبي سنة ٧٣٤ هـ. (الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص٣١ ـ ٣٢).

(٥) أُنظر الرد الوافر: ص ٣٢.

حسناً. فقال في كتابة، طبقة سماع كتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»[١]: «سمع هذا الكتاب على مؤلفه؛ شيخنا الإمام، العالم العلامة الأوحد، شيخ الإسلام، مفتي الفِرق، قدوة الأُمة، أُعجوبة الزمان، بحر العلوم، حَبْر القرآن، تقي الدين، سيد العُبّاد، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ـ رضي الله عنه ـ وذكر بقية الطَّبقة».

وكتب الذهبي ـ أيضاً ـ تحت خَطِّ الشيخ تقي الدين ابن تيمية[٢]: هذا خَطُّ شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فرد الزمان، بحر العلوم، تقي الدين، قرأ القرآن والفقهَ، وناظرَ واستدلَّ، وهو دون البلوغ.

برع في العلم والتفسير، وأفتى ودرَّس، وله نحو العشرين، وصنَّف التَّصانيف، وصارَ مِن أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنفات الكبار، التي سارت بها الرُّكبان، ولعلَّ تصانيفه في هذا الوقت تكون: أربعة آلاف كُراس، وأكثر. وفسَّرَ كتاب الله ـ تعالى ـ مدة سنين مِن صدره في أيام الجُمَع، وكان يتوقَّدُ ذكاءً، وسماعاته مِن الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر مِنْ مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهىٰ، وحفظه للحديث، ورجاله، وصحته، وسقمه، فما يُلحق فيه. وأما نقله للفقه، ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة، فليس له فيه نظير. وأما معرفته بالملل والنحل، والأصول والكلام، فلا أعلم له فيه نظيراً. ويَدْري جملة صالحةٍ مِنَ اللغة، وعربيتهُ قوية جداً، ومعرفته بالتاريخ والسِّيَر فعجب عجيب. وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق النَّعت. وهو أحد الأجواد الأسخياء، الذين يُضْرب بهم المثل. وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والمشرب. انتهىٰ.

---

(١) أنظر الرد الوافر: ص ٣٢.

(٢) أُنظر الرد الوافر: ص ٣٣، العقود الدرية: ص ٣٩.

وقال الذهبي ـ أيضاً ـ في ترجمة ابن تيمية[١]: «وله باعٌ طويلٌ في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقَلَّ أَنْ يتكلم في مسألةٍ إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة. وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصَنَّفَ فيها، واحتجَّ لها بالكتاب والسُّنة. ولَمَّا كان معتقلاً بالإسكندرية، التمس منه صاحب «سبتة»[٢] أن يجيز له مروياته، وَيَنُصَّ على أسماء جملة منها، فكتب في عشر ورقات جملة مِن ذلك بأسانيدها من حفظه، بحيث يعجز أنْ يعمل بعضه أكبرُ محدِّثٍ يكون، وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنَّازل، وبالصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه، فلا يبلغ أحدٌ في العصر رتبته ولا يقاربه، وهو عجب في استحضار واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله، غير أَنَّهُ يغترف مِن بحر، وغيره من الأئمة يغترفون مِنَ السواقي، وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين. بل بما قامَ الدليل عليه عنده. ولقد نصرَ السُّنةَ المحضةَ، والطريقةَ السَّلفيةَ، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأُمور لم يُسبق إليها. وأَطلقَ عبارات أَحجم عنها الأولون والآخرون، وهابوا، وجسرَ عليها. حتى قام عليه خلق مِن علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبَدَّعوه، وناظروه، وكاتبوه، وهو ثابت لا يداهن ولا يُحابي، بل يقولِ الحقَّ المُرَّ الذي أَدَّاه إليه إجتهاده وَحِدَّة ذهنه، وسَعَةُ دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر منه مِن الورع، وكمالِ الفكر، وسعةِ الإدراك، والخوفِ مِن الله العظيم، والتعظيم لحرمات الله. فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية. وكم مِن نوبة قد رموه عن قوس واحد، فينجيه الله تعالى. فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل،

(١) أنظر الرد الوافر، ص ٣٤، والأعلام العلية: ص ٢٣ ـ ٣٠، والكواكب الدُّرِّية: ورقة ٥ أ.
(٢) بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، تقابل جزيرة الأندلس. معجم البلدان: ٣/ ٣٠.

ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يُدْمِنها بكيفية وجمعية. وله مِن الطَّرَف الآخر مُحبُّون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأُمراء، ومِن التُّجار والكُبراء، وسائر العامة تحبه لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه.

وأما شجاعتُهُ[١] فيها تُضرب الأَمثالُ، وببعضها يُتَشَبَّهُ أكابرُ الأبطالِ. فلقد أقامَه الله في نوبةِ غازان[٢]، والتقىٰ أعباءَ الأمرِ بنفسه، وقامَ وقعدَ وطلعَ وخرجَ. واجتمع بالمَلِك مرتين، و«بخطلو شاه»، و«ببولاي»[٣]. وكان «قبجق»[٤] يتعجب مِن إقدامه وجرأته على المغول. وله حِدَّةٌ قويةٌ تعتريه في البحث؛ حتىٰ كأنَّهُ ليث حرب. وهو أكبر من أن يُنَبِّه مثلي على نعوته، فلو حلفتُ بين الرُّكنِ والمَقام لحلفت: أني ما رأيتُ بعيني مثلَه، ولا رأى هو مثلَ نفسه؛ في العلم[٥].

وقال الذهبي ـ أيضاً[٦] ـ: «وكان ـ يعني ابن تيمية ـ آيةً مِنَ الذكاء، وسرعةِ الإدراكِ. رأساً في معرفةِ الكتاب والسُّنةِ والاختلافِ، بحراً في النَّقليات. هو في زمانه فريدُ عصره: علماً وزهداً وشجاعةً وسخاءً، وأمراً بالمعروفِ ونهياً عن المُنْكر، وكَثْرَة تصانيف. وقرأ وحَصَّلَ وبدعَ في الحديث والفقه، وتأَهَّلَ للتَّدريسِ والفتوىٰ وهو ابن سبع عشرةَ. وتقدَّمَ في علمِ التفسيرِ والأُصولِ، وجميعِ علومِ الإسلام أُصولِها وَفُرُوعِها، وَدِقِّها وَجِلِّها. فإنْ ذُكِرَ التفسيرُ: فهو حاملُ لوائِهِ، وإن عُدَّ الفقهاءُ فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضرَ الحُفَّاظ: نطقَ وخَرَسوا، وَسَرَدَ وأبلسوا، واستغنى وأَفْلَسوا. وإن سُمِّيَ المتكلمون: فهو فردُهم، وإليه مَرْجِعُهم، وإن لاحَ ابنُ سينا يَقْدِمُ

(١) الأعلام العلية: ص ٦٣ ـ ٦٦، والكواكب الدُّرِّية: ورقة ٥ أ.
(٢) وهو قائد جيوش التتار التي غزت بلاد الشام سنة ٦٩٩ ـ ٧٠٢ هـ.
(٣) خلطلوشاه وبولاي: مِن أكبر قادة «غازان» ملك التتار.
(٤) هو سيف الدين قبجق المنصوري، والي دمشق سنة ٦٩٦ هـ.
(٥) أنظر: «الرد الوافر» ص ٣٥، و«الدرر الكامنة» ١/١٦٨ ـ ١٦٩.
(٦) الكواكب الدُّرِّية: ورقة ٤ ب ـ ٥ أ، العقود الدرية: ص ٣٩ ـ ٤٠.

الفلاسفةَ: فَلَّهم، وهتكَ أستارَهم، وكشف عَوارَهم. وله يَدٌ طولىٰ في معرفة العربية والصَّرْف واللغة. وهو أعظمُ من أن تَصِفَهُ كَلِمي، ويُنَبِّهَ ـ على شأْوِهِ ـ قلمي، فإن سِيرَتَهُ وعلومَه ومعارفَه ومِحَنَه وتنقلاته: يحتمل أن توضع في مجلدين، فالله ـ تعالىٰ ـ يغفر له، ويُسْكِنُهُ أعلىٰ جَنَّتِهِ؛ فإنه كان ربانيَّ الأُمَّةِ، وفريدَ الزَّمان، وحاملَ لواء الشريعة، وصاحبَ مُعْضِلات المسلمين. رأساً في العلم، يبالغ في أمرِ قيامهِ بالحقِ والجهادِ، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر ـ مبالغةً ما رأيتُها ولا شاهدتُها مِنْ أحدٍ، ولا لَحَظْتُها مِنْ فقيه».

وقال الذهبي ـ أيضاً[١] ـ: «جُمِعَتْ مصنفاتُ شيخِ الإسلامِ، تقيِّ الدينِ، ابنِ تيمية؛ فَوُجِدَت: ألفَ مُصَنَّفَ، ثم رأيتُ لَهُ ـ أيضاً ـ مصنفاتٍ أُخر»[٢].

وتراجم الذهبي لابن تيمية: أشهر مِن أن تُذْكر وأكثر مِنْ أن تُحصر. رحمه الله تعالىٰ.

وَرَثَاهُ الذهبيُّ بعد موتِهِ بقوله[٣]:

يا موتُ خُذْ مَنْ أردتَ أو فَدَعِ ... محوتَ رسمَ العُلومِ والورعِ
أخذَت شيخَ الإسلامِ وانْفَصَمَت ... عُرىٰ التُّقىٰ، واشتفىٰ أُولوا البدعِ
غَيَّبْتَ بحراً مفسراً جبلاً ... حَبْراً تقيّاً مُجانِبَ الشِّبعِ
فإن تَحَدَّثَ فمسلمٌ ثقةٌ ... وإنْ يُناظِر فصاحب «اللُّمَعِ»[٤]

---

(١) أنظر: «الرد الوافر»: ص ٣٥، «الدرر الكامنة» ١/١٦٠، وفي العقود الدرية: ص ٤١: وما أبْعِد أنَّ تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة.

(٢) أفرد الإمامُ ابن القيم مصنفات ابن تيمية في رسالة بلغ عدد المصنفات فيها إلى (٣٢١) مُصَنَّف، ولم يستوعب في ذلك.
انظر: أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن القيم، وقد طبعت بتحقيق صلاح الدين المنجد.

(٣) انظر: «بديعة البيان في وفيات الأعيان» لابن ناصر: ورقة ١٦٥، «الرد الوافر»: ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٤) كتاب في أصول الفقه، للإمام إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: ٤٧٦) وقد طبع بتحقيق محمد ياسين عيسى القاداني، القاهرة، ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م.

وإن يخض نحو سيبويه يَفِه بكلِ معنىً مِنَ الفنِّ مُخْتَرِعِ
وصار عاليَ الإسنادِ حافظَه كشعبة أو سعيد الضبعي[١]
والفقه فيه فكان مجتهداً وذا جهادٍ عارٍ من الجزعِ
وجُودُهُ «الحاتميُّ» مُشْتَهِرٌ وزهدُهُ «القادريُّ» في الطمعِ
أَسْكَنَهُ الله في الجنان ولا زالَ عَلِيّاً في أجملِ الخِلْعِ
مع مالكٍ والإمامِ أحمد والنُّعمانِ والشافعي والخِلْعي[٢]
مضى ابنُ تيمة وموعدُهُ مع خصمهِ يوم نفخة الفزعِ

٨ ـ ومنهم الحافظ المِزِّي[٣]:

وهو الشيخُ الإمامُ، حافظُ الإسلام، محدِّثُ الأعلام، الحَبْرُ النبيل، أُستاذُ أئمةِ الجرح والتعديل. شيخُ المحدثين، جمالُ الدين، أبو الحجاج، يوسف القضاعي، ثم الكلبي، الحلبي، الدِّمشقي، ثم، المِزِّيّ، الشافعي.

وُلِدَ بظاهر حلب سنة أربعٍ وخمسين وستمائة، ونشأ بالمِزَّة[٤]، وسمع الكثيرَ من الكتبِ الطوالِ والقِصارِ، والأجزاء الكِبارِ وغير الكِبار. ورحلَ إلى

(١) لم أجد أحداً مِن الحفاظ بهذا اللقب، وأظنه مصحفاً، والصواب «البَرْذَوعي» المتوفىٰ سنة ٢٩٢ هـ، واسمه سعيد بن عمرو بن عمار، ونسبته إلى «برذعه» بأقصىٰ أذربيجان، من مصنفاته: «الضعفاء والكذابون والمتروكون من أصحاب الحديث». انظر: «تذكرة الحفاظ»: ٢/٢٧٨.

(٢) علي بن الحسن، مسند الديار المصرية في عصره، أصله من الموصل، ومولده ووفاته بمصر، كان يبيع الخلع لملوك مصر وأمرائها، فنسب إليها. صَنَّفَ كتاب «الفوائد» في الحديث، ويُعرف: «بفوائد الخِلْعي، توفي سنة ٤٩٢ هـ». انظر: «وفيات الأعيان»: ١/٣٨٨، و«الرسالة المستطرفة»: ص ٦٩.

(٣) انظر: «معجم الشيوخ» للذهبي ٢/ الورقة ٩٠، «تذكرة الحفاظ»: ٢/١٤١٨، و«الذيل على ذيل العبر» لـ... يني: ص ٢٢٩، «طبقات الشافعية» للسبكي ٦/٢٥١، «البداية والنهاية» لابن كثير: ١٤/١٩١ ـ ١٩٢، «الدرر الكامنة»: ٥/٢٣٣ ـ ٢٣٧، «النجوم الزاهرة»: ١٠/٧٦، «شذرات الذهب»: ٦/١٣٦.

(٤) قرية كبيرة غَنَّاء، وسط بساتين دمشق (معجم البلدان: ٤/٥٢٢).

عِدَّة مِنَ الأَمصار، وصنفَ كتابَ «التهذيب»[١] وكتاب «الأَطراف»[٢] وخرَّجَ لغير واحدٍ: التخاريج المُطَوَّلة، واللِّطاف.

وكان غزيرَ العِلمِ، ثقةً حُجَةً، حسنَ الأَخلاقِ، صادقَ اللَّهْجَةِ. ترافق هو وابنُ تيمية ـ شيخ الإسلام ـ في السَّماع والنَّظر في علومٍ مع عِدَّةٍ من الأَعلام.

ماتَ في عام اثنين وأربعين وسبعمائة بدمشق، وَدُفِنَ بجوار ابن تيمية. وكانت جنازتُه مَشْهُودة. وهو الذي قال فيه بعضُ العلماء الأَفاضل[٣]:

ما زلتُ أَسمعُ عن إحسانِكم خَبَرا الفضـل يَسْنـدُهُ عنكم ويـرفعُـهُ
حـتّى التقينا فشاهدتُ الذي سَمِعَتْ أُذُني وأَضْعَفَ مـا كنتُ أَسْمَعُـهُ

حَدَّثَ غيرُ واحدٍ من الشيوخ عن المِزّي أَنَّهُ قالَ عن ابن تيمية: «ما رأيتُ مثلَهُ، ولا رأَى هو مثلَ نفسهِ وما رأيتُ أَحداً أَعلم بكتاب الله، وسنَّةِ رسول الله، ولا أَتبعَ لهما: منه».

وقالَ المِزّي ـ أَيضاً ـ عن ابن تيمية: «ابن تيمية لم يُرَ مثله منذ أَربعمائةِ سنة».

وكتب المِزِّيُّ على كتاب: «ترجمة الشيخ تقي الـدين ابن تيمية»[٤]

---

(١) تهذيب الكمال: يقوم بتحقيقه الشيخ شعيب الأَرنؤوط، والدكتور بشار عواد، وقد صدر منه أربعة أَجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) واسمه: تحفة الأَشراف بمعرفة الأَطراف، طبع بتحقيق عبد الصَّمد شرف الدين، بمباي، الدار القيّمة، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٩ م.

(٣) وهو الإمام أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الكريم الطرابلسي الشافعي، لَمَّا قَدم الحج، سنة أَربع وثلاثين وسبعمائة. وستأتي في ترجمة «البرزالي» رقم (٩) منسوبةً. انظر: «الرد الوافر»: ص ١٢٨.

(٤) وهو: «العقود الدُّرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» وقد طُبع بتحقيق محمد حامـد الفقي، دار الكتاب العربي.

تصنيف ابن عبد الهادي، ما صُورَتُهُ[١]: «كتابٌ مختصر في ذكرِ حالِ الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، تقي الدين أبي العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، وذِكْرِ بعضِ مصنفاتِهِ، ومناقِبِه: جَمْعِ الشيخ الإمام الحافظ، شمس الدين، أبي عبدالله، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، المقدسي».

وَكَتَبَ المِزِّيُّ - أيضاً - بخطِّهِ: طبقة سماع على الجزءِ الثاني من «حديث الحسن بن علي الجوهري»[٢] ما صورتُهُ[٣]: «سَمِعَ هذا الجزءَ على: المشايخِ الثلاثةِ: الإمام العلامة، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبي العباس، أحمد بن تيمية، والإمام عَلَمِ الدين البِرْزالي بقرأتِهِ مِن لفظه[٤]. وكاتب السَّماع: يوسف ابن الزكي.

وقد قال: قاضي القضاة صالح بن عمر البُلقيني، الشافعي: «لقد افْتَخَرَ قاضي القضاة، تاج الدين السُّبكي - في ترجمة أبيه[٥]: الشيخ تقي الدين السُّبكي - في ثناءِ الأئمةِ عليه: بأن الحافظَ المِزِّي لم يكتب بخطه لفظة «شيخ الإسلام» إلا لأبيه، وللشيخ تقي الدين ابن تيمية، وللشيخ شمس الدين بن أبي عمر الحنبلي[٦].

---

(١) أنظر: «الرد الوافر»: ص ١٢٩.
(٢) الشيرازي، ثم البغدادي، المقنعي، أبو محمد (ت ٤٥٤ هـ) كشف الظنون: ١/١٦٤.
(٣) أنظر: «الرد الوافر»: ص ١٢٩.
(٤) وتمام النص كما في «الرد الوافر» ص ١٣٠: «بسماعهم من أحمد بن شيبان، وبسماع الأول أيضاً - مِن إسماعيل بن العسقلاني.. وأجازوا للجماعة».
(٥) «طبقات الشافعية»: ١٠/١٩٥، وقد ترجم له ابنُهُ تاج الدين السبكي في الطبقات ترجمةً حافلة في مائتي صفحة من ١٠/١٣٩ إلى ١٠/٣٣٩.
(٦) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين، انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره، بل رئاسة العلم في زمانه، وكان معظماً عند الخاص والعام، وقد جمع المحدث إسماعيل بن الخباز ترجمته وأخباره في مائة وخمسين جزءاً، قال الذهبي: ما رأيت سيرة عالم أطول منها أبداً. توفي سنة ٦٨٢ هـ ٥/٣٧٦، «النجوم الزاهرة»: ٧/٣٥٨، «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/٣٠٤، «شذرات الذهب»: ٣٧٩.

٩ ـ ومنهم الحافظ البرزالي[١]:

وهو الشيخ الإمام الحافظ، الثقة الحُجَّة، مؤَرخ الشام، وأحد مُحَدِّثي الإسلام، مفيد المحدثين، علم الدين، أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف، البِرْزالي، الإشبيلي الأَصل، الدِّمشقي. صاحب التاريخ الخطير، والمعجم الكبير.

كان بأسماء الرجالِ بَصيراً، وناقلاً لأحوالهم نحريراً.

ولد سنة خمس وستين وستمائة بدمشق. ومات بخليص مُحْرِماً، في ثالث ذي الحجة، سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

ولقد حكى بعض مشايخنا عنه: أَنَّهُ كان إذا قرأ الحديث، وَمَرَّ به: حديثُ ابن عباس[٢] في قصةِ الرجل الذي كان مع النبي ـ ﷺ ـ فوقصته ناقتُهُ وهو مِحْرِم، فمات... الحديث. وفيه: «فإنَّهُ يُبعثُ يومَ القيامة: ملبياً». فكان إذا قرأَهُ البِرْزالي: يبكي، وَيَرِقُّ قَلْبُهُ. فماتَ بخليص مُحْرِماً.

وفيهِ يقولُ الذَّهبيُّ[٣]:

إن رُمْتَ تفتيشَ الخزائنِ كلِّها   وظهورَ أجزاءٍ حَوَت وعَوالي
ونعوتَ أَشياخ الوجود وما رَوَوا   طالعَ أو أَسمع معجمَ البِرْزَالي

وفيه يقول: الشيخ الإمام ابن الموصلي، الطرابلسي:

ما زلتُ أَسمعُ عنكَ كلَّ عارفةٍ   لِمثْلِها أو إليها ينتهي الكَرَمُ
وكنتُ بالسَّمْعِ أَهواكم فكيفَ وقد   رأَيتُكم وبدا لي في الهوىٰ عَلَمُ

---

(١) انظر: «معجم الشيوخ» للذهبي: ٢/ الورقة ٢٥، «ذيل تذكرة الحفاظ»: ص ١٨ ـ ٢١، «الذيل على ذيل العبر» للحسيني: ص ٢٠٩، «طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/٢٤٦، «الدرر الكامنة»: ٣/٣٢١ ـ ٣٢٣، «النجوم الزاهرة»: ٩/٣١٩، و«الرد الوافر»: ص ١١٩.

(٢) أخرجه البخاري: ٢/٩٦، في الجنائز، باب الكفن في ثوبين: ومسلم رقم ٩٨ في الحج، باب ما يفعل المحرم إذا مات، مِن حديث ابن عباس.

(٣) انظر: «الدرر الكامنة»: ٣/٣٢٢، و«الرد الوافر»: ص ١٢٠.

كتب البِرْزَاليُّ بخطِّه: سماع طبقة على جزءٍ فيه أَحاديث منتقاة من جزء «الحسن بن عرفة» وهي[١]: «قرأَ هذه الأَحاديث الثمانية: شيخُنا وسَيِّدُنا، الإِمام العالم العلامة، الأَوحد القدوة، الزاهد العابد الورع الحافظ، تقي الدين، شيخ الإِسلام والمسلمين، سَيِّد العلماء في العالمين، حَبْر الأُمة، مقتدي الأَئمَّة، حُجَّة المذاهب، مفتي الفِرَق، أَبو العباس، أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية. أَدام الله بَرَكَتَهُ، ورفعَ درجتَهُ.

وقد ذَكَرَ البِرْزَالي في: «معجم شيوخه»[٢]: الشيخَ تقي الدين فقال: «أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أَبي القاسم بن محمد بن تيمية، الحراني؛ الشيخ تقي الدين أَبو العباس، الإِمام المجمع على فضله ونُبْلِهِ ودينه. قَرأَ القرآن وَبَرَعَ فيه، والعربية، والأُصول. وَمَهَرَ في عِلمي التفسير والحديث. وكان إِماماً لا يُلْحَق غبارُه في كل شيء. وبلغَ رتبةَ الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين. وكان إِذا ذَكَرَ التفسير أَبهتَ النّاس من كَثْرَةِ محفوظه، وحسنِ إِيراده، وإِعطائه كلَّ قولٍ ما يستَحِقُّهُ مِنَ الترجيح والتضعيف والإِبطال، وخوضه في كل علم. كان الحاضرون يقضون مِنْهُ العجب. هذا مع انقطاعه إِلى الزهد والعبادة، والاشتغال بالله ـ تعالىٰ ـ، والتَجَرُّدِ مِن أَسبابِ الدنيا، ودعاءِ الخلق إِلى الله ـ تعالى ـ.

وكان يجلس في صبيحة كلِّ جُمْعَةٍ، يقرأُ على النَّاس تفسيرَ القرآن العظيم، فانتفع بمجلسه، وبركةِ دُعائهِ وطهارةِ أَنفاسِهِ، وصِدقِ نِيَّتِهِ، وصفاءِ ظاهرِهِ وباطِنِهِ، وموافقةِ قَولِه لِعَمله. وأَنابَ إِلى الله ـ تعالى ـ خلقٌ كثيرٌ، وجرى على طريقةٍ واحدةٍ مِن اختيارِ الفَقْرِ، والتَّقَلُّلِ مِن الدنيا، وَرَدَّ ما يُفْتَحُ به عليه.

وقال البِرذاليّ: في «تاريخه» بعدَ أَن ذَكَرَ وفاةَ ابنِ تيمية، ووصَفَ دَفْنَهُ،

(١) انظر: «الرد الوافر»: ص ١٢٠.
(٢) انظر: «الرد الوافر»: ص ١٢١.

وشدَّةَ الزِّحام عليه. ثُمَّ قالَ[١]: «وخَلْقٌ كثير سمع منهم الحديث، وقرأ بنفسهِ الكثير، وطلبَ الحديث، وكتبَ الطِّباق والإثبات، ولازمَ السَّماع بنفسه مُدَّةَ سنين، وَقَلَّ أَنْ يَسْمعَ شيئاً إلا حفظَهُ. ثُمَّ اشتغل بالعلوم. وكان ذكيّاً كثير المحفوظ، فَصارَ إماماً في التفسير وما يتعلق به، عارفاً بالفقه. فيقال: إنَّهُ كانَ أعرفُ بفقه المذاهبِ مِنْ أَهْلِها، الذين كانوا في زمانه وغيرِهِ. وكان عالماً باختلاف العلماء، عالماً بالأُصول والفروع، والنحو، واللغة، وغيرِ ذلكَ مِنَ العلومِ النَّقْلية والعَقْلية. وما قُطِعَ في مجلس مناظرة، ولا تكلم معه فاضل في فَنٍّ مِنْ فُنونِ العلم: إلا ظَنَّ: أَن ذلكَ الفنِّ فَنُّهُ، ورآه عارفاً به، مُتْقناً له.

وأما الحديث: فكان حاملَ رايتِه، حافظاً لَهُ، مميِّزاً بين صحيحِهِ وسَقيمِهِ، عارفاً برجالِهِ متضلعاً مِنْ ذلك.

وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة في الأُصول والفروع. وأثنىٰ عليه وعلى فضائلِهِ، وعلومِهِ جماعةٌ مِنْ علماءِ عَصْرِهِ، مِثل: ابنُ دقيق العيد[٢]، وابنُ النَّحاس[٣]، والقاضي الحنفي: قاضي قضاة مصر ابن الحريري[٤]، وابنُ الزَّملكاني[٥]، وغيرُهم.

١٠ ـ ومنهم الحافظ بن رجب[٦]:

وهو الشيخُ الإمامِ، العلامةُ، الزاهدُ، القدوةُ، البركةُ، الحافظُ،

---

(١) انظر: «الرد الوافر»: ص ١٢٢.

(٢) تقدم في رقم (٢).

(٣) وهو محمد بن إبراهيم بن محمد، بهاء الدين، ابن النَّحَّاس الحلبي، شيخ العربية بالديار المصرية في عصره، من تصانيفه: «إملاء على كتاب المُقرب» لابن عصفور، و«هَدْي أمهات المؤمنين». انظر: «فوات الوفيات»: ٢/١٧٢، «غاية النهاية»: ٢/٤٦.

(٤) أبو عبدالله محمد بن الشيخ صفي الدين بن عبد الوهاب، الأنصاري (ت ٧٢٨ هـ) كان يقول: إن لم يكن ابن تيمية شيخَ الإسلام فَمَن؟ (البداية والنهاية).

(٥) تقدم في رقم (٦).

(٦) «الدرر الكامنة»: ٢/٤٢٨، «وإنباء الغمر»: ١/٤٦٠ لابن حجر، «طبقات الحفاظ»: ص =

العُمْدَةُ، الثقةُ، الحُجَّةُ، واعظُ المسلمين، مفيدُ المحدثين، زينُ الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المُقْرىء المُحَدِّث أحمد بن رجب البغدادي الدِّمشقي، الحنبلي.

أحد الأَئمَّةِ الزُّهَّاد، والعلماءِ العُبَّاد. تُوفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة بدمشق.

ولقد حَدَّث مَنْ حفرَ لَحْدَ ابن رجب[١]: إن الشيخَ ابن رجب جاء قبل أَنْ يموتَ بأَيام. قالَ: فقالَ لي: احفر لي هنا لَحْداً ـ وأَشار إلى البقعة التي دفن فيها ـ قال: فحفرتُ له. فَلَمَّا فَرَغَ نزلَ في القبر، واضطجعَ فيه، فأَعجبَهُ، وقال: هذا جيد. ثُمَّ خَرَجَ. قال: فوالله ما شعرتُ بعد أيامٍ إلا وقد أُوتي به مَيِّتاً، مَحْمولاً في نَعْشِه، فوضعته في ذلكَ اللَّحْد، وواريتُهُ فيه.

له مصنفاتٌ مفيدة، ومؤلفاتٌ عديدة، منها: «شرح جامع الترمذي»، و«شرح مِنْ أولِ صحيح البخاري إلى الجنائز» شرحاً نفيساً، وله كتاب: «طبقات أَصحاب مَذْهَبه»[٢] جَعَلَهُ ذيلاً على مَنْ بدأَ به؛ وهو القاضي أبو يعلى بن الفراء[٣].

قال فيه[٤]: «أَحمدُ بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أَبي

= ٥٣٦، و«ذيل تذكرة الحفاظ»: ص ٣٦٧، «شذرات الذهب» لابن العماد: ٦/٣٣٩، «البدر الطالع» للشوكاني: ١/٣٢٨، «الرد الوافر»: ص ١٠٦.

(١) «الدرر الكامنة» لابن حجر: ٢/٤٢٩.

(٢) طبع بتحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، ١٩٥٢م. ومصنفاته تزيد على الثلاثين، ما بين كتاب ورسالة؛ ومنها كتابه القيِّم «الاستخراج في أحكام الخراج» وقد حققه، ونال به درجة الماجستير من جامعة الأزهر ـ كلية الشريعة ـ: الأستاذ جندي محمود سنة ١٤٠١ هـ.

(٣) المتوفى سنة ٥٢٦ هـ، وكتابه: «طبقات الحنابلة» طبع بتحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، ١٩٥٢م.

(٤) ٢/٣٨٧.

القاسم الخضر بن محمد بن تيمية، الحَرَّانيُّ، ثم الدِّمشقيُّ، الإمامُ، الفقيهُ، المجتهدُ، المُحَدِّثُ، الحافظُ، المُفسِّرُ، الأُصوليُّ، الزاهدُ، تقي الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام، وَعَلم الأَعلام وشهرته تغني عن الإِطْنابِ في ذكره، والإسهاب في أَمره».

ثُمَّ ذكرَ ابنُ رجب ترجمةَ ابن تيمية؛ وفيها ذَكْرُ موته، ودفنه. ثُمَّ قالَ(١): «وصلىٰ عليه صلاةَ الغائبة في غالب بلاد الإسلام؛ القريبة والبعيدة؛ حتىٰ في بلادِ اليَمَنِ والصين. وأَخبرَ المسافرون أنه: نُودِيَ بأَقصىٰ الصين ـ للصلاة عليه يوم الجمعة ـ : الصلاة على تُرْجمان القرآن.

١١ ـ ومنهم الحافظ ابن عبد الهادي(٢):

وهو الشيخُ، الإمامُ، العلامةُ، الحافظُ، الناقدُ، ذو الفنون، عُمْدَةُ المحدثين، مُتْقِنُ المحررين، شمسُ الدين، محمدُ بن أَحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن قدامة بن مقدام بن نصر، المقدسي، الصالحي، الحنبلي.

ولد سنة أَربعٍ ـ أَو خمس ـ وستمائة. وقرأَ القرآن بالروايات، وسمع ما لا يُحصى من المرويات، وَعُنيَ بالحديث وأَنواعه، ومعرفة رِجاله، وَعِلَلِهِ. وَتَفَقَّهَ، وأَفتىٰ، وَدَرَّسَ، وجمع، وأَلَّفَ، وكتبَ الكثير، وصنَّفَ، وتصدىٰ للإفادة.

ومِنْ مصنفاته: «تنقيح التحقيق في أَحاديث التعليق»، مُجَلَّدان، و«المحرر في الأَحكام»، و«الكلام على أَحاديث مختصر ابن الحاجب» مؤلفان:

---

(١) ٢/٤٠٧.

(٢) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» لابن كثير: ١٤/٢١٠، و«الدرر الكامنة» لابن حجر: ٣/٣٣١، و«بغية الوعاة» للسيوطي: ص ١٢، و«شذرات الذهب»: ٦/١٤١.

مُطَوَّل ومختصر، و«جزء في الردِّ فيما أورده على ابن مالك»، و«جمع التفسير المسند» لكنه مات قبلَ إتمامه[١].

وكان إماماً في علوم: كالتفسير، والحديث، والأُصول، والفقه، واللُّغة، والعربية.

وذكره الحافظ الذَّهبي في: «معجمه المختص بالمحدثين»، وفي «طبقات الحفاظ»[٢]، وأثنىٰ عليه فيهما ثناءً حميداً، وقال: واللهِ ما اجتمعتُ به ـ قط ـ إلا واستفدتُ منه.

مات سنة أَربعٍ وأربعين وسبعمائة بدمشق، وكانت جنازتُهُ حافلة.

ومِنْ مصنفاته: كتاب «مناقب ابن تيمية» في مجلد. قال فيه[٣]: «هو الشيخ، الإمام، العالم، العامل، الرَّباني. إمام الأَئمة، وعلامة الأُمَّة، ومفتي الفِرَق، وبحر العلوم، سَيِّد الحفاظ، وفارس المعاني والأَلفاظ، فريد العصر، ووحيد الدهر، شيخ الإسلام، بركة الأَنام، عَلّامة الزمان، وَتَرْجُمان القرآن، وعلم الزُّمان، وأَوحد العباد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين، تقي الدين، أَبو العباس، أَحمد ابن الشيخ الإمام العلَّامة، شهاب الدين، أَبي المحاسن، عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة، شيخ الإسلام، مجد الدين، أَبي البركات، عبد السلام بن تيمية، الحرَّاني. نزيل دمشق، وصاحب التصانيف التي لم يُسبق إلى مثلِها، ولا يلحق في شَكْلِها توحيداً أو تفسيراً، وإخلاصاً، وفقهاً، وحديثاً، ولغةً، ونحواً، وجميع العلوم. كُتُبُهُ طافحةٌ بذلك. وانتهت إليه الإمامةُ في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة، والكرم، والتواضع، والحلم، والإنابة، والجلالة والمهابة، والأَمرِ بالمعروف، والنهي عن

(١) اخترمته المَنِيَّةُ وله من العمر «٣٩» عاماً، ولو عاشَ لكانَ عجباً.

(٢) «تذكرة الحفاظ»: ٣/١٥٠٨.

(٣) «العقود الدُرِّية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»: ص ١٨، و«طبقات الحفاظ» ورقة ٢٧٤ ب.

المنكر، وسائرِ أنواع الجهاد، مع الصدقِ والأمانةِ، والعِفَّةِ والصيانةِ، وحسنِ القصدِ والإخلاصِ، والابتهالِ إلى الله، وكثرةِ الخوفِ منه، والمراقبةِ لـه، وشِدَّةِ التَّمسُّكِ بالأثرِ، والدعاءِ إلى الله، وحسنِ الأخلاقِ، ونفعِ الخلقِ، والإحسانِ إليهم، والصبرِ على مَنْ آذاهُ، والصَفْحِ عنه، والدُّعاءِ له، وسائرِ أنواعِ الخير.

وكان ـ رحمه الله ـ سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشَجّاً في حُلُوق أهل الأهواء مِنَ المبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحقِّ، ونُصْرة الدين.

وكان بحراً لا تكدِّرُه الدِّلاءُ، وحَبْراً يقتدي به الرجال الألِبّاء، وطفت بذكره الأمصار، وضَنَّتْ بمثلِهِ الأعصار. واشتغل بالعلوم؛ وكان ذكيّاً، كثير المحفوظ، إماماً في التفسير؛ وما يتعلق به، عارفاً بالفقه، واختلاف العلماء. والأصْلَين[1]، والنحو، واللغة، وغير ذلك من العلوم النَّقليَّة والعقليَّة.

وما تكلم معه فاضلٌ في فن إلا ظنَّ: أن ذلك الفنَّ فَنّه، ورآه عارفاً به، مُتْقِناً له.

وأما الحديث؛ فكان حافظاً له، مُمَيِّزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله، متضلعاً مِنْ ذلك، وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة في الفروع والأصول.

ولقد أثنى عليه، وعلى فضائِلِهِ: جماعة مِنَ علماءِ عَصْرِهِ. ولقد تَرْجَمَهُ: ابن عبد الهادي ـ هـذا[2] ـ : بشيخ الإسـلام، مَدار أكـثر. . . وذكر مِنْ مناقبه ـ في ترجمته ـ أشياءَ خطيرة، وَعَدَّ كثيراً مِنْ مُصَنَّفاتِهِ، ونَصَّ على نفائس مِنْ مؤلَفاته[3].

(١) الأصلين: أصول الدين، وأصول الفقه.

(٢) «العقود الدُّرِّية»: ص ١٨، و«طبقات الحفاظ»: ورقة ٢٧٤ ب.

(٣) «العقود الدرية»: ص ٤٢ . ٧٩، و«طبقات الحفاظ»: ورقة ٢٧٧ أ.

وذكَرَهُ في كتابه: «طبقات الحُفَّاظ»(١) بترجمةٍ مختصرة، ونعوتٍ جامعة، محررة مِنْ أوصاف الأئِمَّة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقال(٢): «مَنَّ اللهُ ـ تعالى ـ على الشيخ: بسرعةِ الكتابةِ ويكتب مِنْ حِفْظِهِ، مِنْ غير نَقْل». قالَ: وأخبرني غيرُ واحدٍ: أنه كتبَ مجلداً لطيفاً في يوم، وكتب غيرَ مرةٍ: أربعين ورقة في جَلْسَة. وأحصيتُ ما كتبه في يوم، وبَيَّضَهُ فكان: ثمانية كراريس، في مسألةٍ مِنْ أشكلِ المسائِل، وكانَ يكتبُ على السُّؤالُ الواحد: مجلداً. وأمَّا جوابٌ يَكْتُبُهُ: فيه خمسين ورقة وستين. فكثيرٌ جداً.

١٢ ـ ومنهم ابن فضل الله العمري(٣):

وهو القاضي، الفاضل، البارع، النبيل، العالم، الأصيل، أبو العباس، أحمد ابن القاضي الإمام، يمين مملكة الإسلام، يحيى بن فَضل الله، العدوي، العمري، الشافعي.

ولد سَنَة سبع وتسعين وستمائة، وتوفي سنة تِسعَ وأربعين وسبعمائة.

ذكره الذهبي في: «مُعْجَمهُ المختص بالمحدثين» وقال: صاحب النَّظم والنَّثْر والمآثر.

وقال: ابن فضل الله ـ هذا ـ في تاريخه المسمى: «بمسالك الأبصار في ممالك الأمْصَار»(٤) في: ترجمةِ ابن تيمية، وهي طويلة؛ تبلغ كُرَّاسَةً فأكثر:

(١) ورقة ٢٧٤ أ ـ ٢٧٩ ب وهي آخر ترجمة في الكتاب، وتقوم مؤسسة الرسالة بطبعه بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٢) «العقود الدرية»: ص ٨٠ ـ ٨١.

(٣) انظر ترجمته في: «فوات الوفيات»: ١/٧، و«النجوم الزاهرة»: ١٠/٢٣٤، و«الدرر الكامنة»: ١/٣٣١، و«شذرات الذهب»: ٦/١٦٠، و«الرد الوافر»: ص ٨١.

(٤) طبع منه جزء بتحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م، وباقي الكتاب لم يزل =

«ومنهم: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، العلامة، الحافظ، المجتهد، المفسر، شيخ الإسلام، نادرة العصر، عَلَم الزُّهاد.

هو البحرُ مِن أي النواحي جئْتَهُ والبَدرُ مِن أي الضواحي رأَيتَهُ. رضعَ ثَدي العلم منذ فَطَم، وطلعَ وَجهُ الصَّباح ليحاكيه فَلَطَم. وقطع الليلَ والنَّهار ردائين، واتَّخذ العلمَ والعملَ صاحبين، إلى أنْ أنسىٰ السَّلفَ بهُداه، وأنأى الخلف عن بلوغ مداه؛ على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدُّهور، ونشأت منه عظماء على المشاهير الشهور، فأحيا معالم بيتِهِ القديم إذ دَرَس، وجنىٰ مِنْ فَنَنِهِ الرطيب ما غرس، وأصبح في فضله آية؛ إلا أنه آية الحرس. عرضت له الكدي فزحزحها، وعارضته البحار فضحضحها، ثمَّ كان أُمةً وحده، وَفرْداً حتىٰ نزلَ لَحْدَه. أخملَ مِنَ القرناءِ كلَّ عظيم، وأَخْمَدَ مِنَ أهل البدع كلَّ حديث وقديم. جاء في عصرٍ مأْهول بالعلماءِ، مشحون بنجوم السماء؛ تموج في جوانبه بحور خضارم، وتطير بين خافقيه نسور قشاعم، وتشرق في أنديته بدور دجنة، وتبرق في أَلويتِهِ صدورُ أَسِنَّة. إلا أَن شمسَهُ طَمَست تلك النجوم، وبحره طَمَّ على تلكَ الغيوم، وابتلعَ غَدِيرُهُ المطمئنُ جداولَها، واقتلعَ طودُهُ المرجحِنُّ جنادَلها. ثم عُبِّيَت له الكتائبُ: فحطمَ صفوفَها، وخطمَ أُنوفَها. وأخمدت أنفاسَهم رِيحُهُ، وأكمدت شراراتهم مصابيحُهُ».

تقدَّم راكباً فيهم إماماً ولولاه لما ركبوا وراءه[1]

فجمعَ أشتاتَ المذاهبِ، وشتاتَ الذاهب، ونقل عن أئِمَّةِ الإجماع، فَمَنْ سواهم: مذاهبَهم المختلفة، واستحضرها. ومثَّلَ صورهم الذاهبة وأَحْضَرها. فلو شعر أبو حنيفة بزمانه، وملك أمره؛ لأَدنى عصرهِ إليه مقترباً.

= مخطوطاً. وقد فحصت الأجزاء الخطية المتوفرة لديَّ فلم أجد فيها ترجمة ابن تيمية. فلعلها في القسم الخطي الذي لم يتوفر لديّ.

(١) انظر: «الرد الوافر»: ص٨٣.

أو مالك؛ لأجرىٰ وراءه أشهبه وكوكباً. أو الشافعي؛ لقال: ليت هذا كان للأم ولداً، وليتني كنت له أباً. أو الشيباني؛ ابن حنبل لما لام عذاره، إذ غَدا منه لفرط العجب أشيباً. لا بل داود الظاهري، وسنان الباطني؛ لَظَنَّا تحقيقه مِنْ منتحله. أو ابن حزم والشهرستاني؛ لحشرَ كلٌ منهما ذكرَهُ في نحله. أو الحاكم النيسابوري، والحافظ السِّلَفي؛ لأضافَهُ هذا إلى مستدركه، وهذا إلى رحلِهِ.

تَرِدُ إليهِ الفتاوى ولا يردُّها، وتفد عليه فيجيب عنها بأجوبةٍ كأنَّهُ كان قاعداً لها يَعُدُّها[١]:

أبداً على طرفِ اللِّسانِ جوابُهُ فكأنما هي دفعةٌ مِنْ صَيِّبِ

وكان من أذكىٰ النّاسِ، كثير الحفظ، قليل النِّسْيان؛ قَلما حفظ شيئاً فَنَسِيَهُ.

وكان إماماً في التفسير، وعلوم القرآن، عارفاً بالفقه، واختلاف الفقهاء والأصوليين، والنحو وما يتعلق به، واللغة، والمنطق، وعلم الهيئة، والجبر، والمقابلة، وعلم الحساب، وعلم أهل الكتابين، وعلم أهل البدع، وغير ذلك مِنَ العلوم النقلية والعقلية.

وما تكلَّم معه فاضلٌ ـ في فَنٍّ مِنَ الفُنُون ـ إلا ظنَّ أنَّ ذلكَ الفنَّ فَنُّهُ.

وكان حافظة للحديث، مُمَيِّزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله؛ متضلعاً من ذلك. وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة، وفتاوىٰ مشبعة في الفروع والأصول، والحديث، وردِّ البدع بالكتاب والسُّنَّة[٢].

---

(١) أنظر: «الرد الوافر»: ص ٨٣، وفيه أيضاً:

يغدو مساجله بغرة طامع ويروح معترفاً بذلة مذنب

(٢) ووصف شجاعته فقال: «... جلس الشيخ إلى السلطان محمود غازان حيث تجم الأسد في آجامها، وتسقط القلوب دواخل أجسامها، وتجد النار فتوراً في ضرمها، والسيوف فرقاً في =

١٣ ـ ومنهم: بهاء الدين السُّبكي[١]:

وهو الشيخ، الإمام، العلامة، قاضي القضاة، علم المناظرين، أحد المتبحرين، بهاء الدين محمد بن عبد البر بن يحيىٰ بن علي بن تمام، الأنصاري، الخزرجي، السبكي، الشافعي.

ولد سنة سبع وسبعمائة، وتوفي بدمشق سنة سبع وسبعين وسبعمائة.

ذكره الذهبي في «معجمه» فقال: إمام متبحر، مناظر، بصير بالعلم، محكم للعربية وغيرها. قال: وناب في الحكم ـ يعني ـ عن الإمام تقي الدين السبكي[٢]. ثم وُلِّيَ القضاء استقلالاً؛ سنة ثمان وخمسين وسبعمائة. ثم ولِّيَ قضاء الديار المصرية؛ سنة ستٍ وستين، ثُمَّ صرف عنه؛ عام اثنين وسبعين. ثم وُلِّيَ قضاء دمشق ثانياً.

قال العلامة ـ صاحب كتاب «الرد الوافر»[٣] ـ: حكىٰ بعضُ من لقيتُهُ من الشيوخ: أنه حضرَ مَرَّةً ـ مع قاضي القضاة، بها الدين، السبكي ـ درساً ألقاهُ بالمدرسة الرواحية[٤] بدمشق. فجاء طائفة من «القلندرية»[٥] يسألونه؛ فأمر لهم بشيء، ثُمَّ جاء طائفةٌ أُخرى من «الحيدرية»[٦] ـ وهو يتوضأ على

= قرمها خوفاً من ذلك السبع المغتال، والنمرود المحتال، والأجل الذي لا يدفَع بحيلة محتال، فجلس إليه، وأومأ بيده إلى صدره، وواجهه ودرأ في نحره، وطلب منه الدعاء، فرفع يديه ودعا دعاء منصف أكثره عليه، وغازان يؤمن على دعائه. انظر: «تتمة المختصر» لابن الوردي: ٢/٤٠٩.

(١) أنظر ترجمته في: «الوافي بالوفيات»: ٣/٢١٠، و«الدرر الكامنة»: ٣/٤٩٠، و«بغية الوعاة»: ص ٦٣، «الرد الوافر»: ص٥٠.

(٢) نسبة إلى «السُّبك» وهي من قرى المنوفية بمصر.

(٣) ٥٠ ـ ٥٢.

(٤) المدرسة الرواحية: شرقي مسجد ابن عروة، الذي هو لصيق الجامع الأموي أنشأها زكي الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد الأنصاري، المعروف: بابن رواحة، انظر: «الدارس في تاريخ المدارس»: ١/٢٦٥ ـ ٢٧٠.

(٥) و(٦) فرقة من «الحيدرية» وهي طائفة من المتصوفة جاءوا دمشق سنة خمس وستين وستمائة. وكان من شعارهم لبس الطراطير، وكانوا يقصون لحاهم ويتركون شواربهم؛ خلافاً للسنّة. أما =

بركة المدرسة المذكورة ـ ؛ فأَمَر لهم بشيء. ثُمَّ جاء فصلىٰ ركعتين، ثُمَّ قال: رحم اللهُ ابنَ تيمية كان يكره هؤلاءِ الطوائف على بِدَعهم. قال: فلما قال ذلك؛ ذكرتُ له كلامَ النّاس في ابن تيمية. فقال لي: والله ـ يا فلان ـ ما يبغض ابنَ تيمية إلا جاهلٌ أو صاحب هوى؛ فالجاهل: لا يدري ما يقول. وصاحب الهوى: يصدُّهُ هواهُ عن الحقِّ بعد معرفته به. قال: فأَعجبني ذلكَ منه، وَقَبَّلْتُ يَدَهُ، وقلت: جزاكَ الله خيراً.

قال: «فكيف هذا لو سمع مما صحت به الرواية عن شيخ الإسلام، تقي الدين السبكي مِن مدحه لابنَ تيمية، لطارَ فرحاً من السُرور، ولأَنشد مُتَمَثِّلاً بذلك البيت المشهور:

ومليحةٍ شَهِدت لها ضَرَّاتُها والفَضْلُ ما شَهِدت به الأَعداءُ[1]

كتب الحافظ الذَّهبي ـ فيما اشتهر ـ إلى الشيخ تقي الدين السبكي يعاتبه على ما صدرَ، فكتب الجواب يعتذر عن تلكَ الحادثات، ومن بعضه ما أشار إليه الشيخُ زين الدين بن رجب في كتابه: «الطبقات»[2]، فقال: «ومما وجد في كتاب كتبه العلامة قاضي القضاة أبو الحسن السبكي إلى الحافظ الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين ـ يعني ابن تيمية ـ: أَمَّا قول سيدي في الشيخ فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية، والعقلية، وفرط ذكائِهُ، واجتهاده، وبلوغه في كلٍّ مِن ذلك المبلغَ الذي لا يتجاوز الوصف. والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره في نفسي أَعظم مِن ذلك وأَجلّ، مع ما جمعَ الله له مِنَ الزَّهادة، والورع، والدِّيانة، ونصرة الحق،

= شيخ طريقتهم فهو محمد بن يونس الساوجي الذي انتقل إلى دمياط، وتوفي بها. وكانت لهم زاوية خارج دمشق.

(١) ديوان السري الرفاء: ص وفيه:

وشمائل شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأَعداءُ

(٢) ٢/٣٩٢.

والقيام فيه لا لغرض سواه. وَجَرْيِهِ على سنن السلف، وأخذه مِن ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل مِن أزمان» إنتهى.

١٤ - ومنهم:

الشيخ، العالم، الفاضل، المُحَدِّث، أبو المعالي، محمد بن طغريل[1]، الخوارزمي. أخذ عن خلائق من رواة الآثار. مات سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

كتب بخطِّهِ «سماع طبقة» فقال: «وسَيِّدُنا الشيخ، الإمام، العلامة، الصدر الكبير، الكامل، القدوة، الحافظ، الزاهد، العابد، الورع، شيخ الإسلام، مفتي الفِرَق، حُجة المذاهب، مقتدىٰ الطوائف، لسان الشريعة، مجتهد العصر، وحيد الدَّهر، إمام الأئِمَّة، تقي الدين، أبي العباس، أحمد...» وذكر بقيَّةَ نَسَبِهِ. وشيخنا الإمام، العالم، الزاهد، الورع، المحدث، العمدة، الحجة، الحافظ الكبير، محدث العصر، جمال الدين، أبي الحجاج، يوسف بن الزكي، المِزِّي. وذكر بقية المشايخ، والقارىء، وبعض السَّامعين.

١٥ - ومنهم:

العالم، الفاضل، المحدث، البارع، المؤَرخ، جمال المؤَرِخين، شمس الدين، محمد بن الشيخ - المُسْنِد الكبير - يحيى بن الشيخ، الفقيه، الفاضل، الأديب، البارع، محمد بن سعيد بن مفلح[2]، المقدسي، الدِّمشقي، الصالحي. وذكرَهُ الذَّهبيُّ في «معجمه».

---

(١) وهو ابن الصَّيْرفي المحدث، أنظر ترجمته في: «الدرر الكامنة»: ٣/٤٦٠، و«شذرات الذهب»: ٦/١١٦، و«الرد الوافر»: ص ٤٥.

(٢) الفقيه الحنبلي من علماء الحديث، توفي سنة ٧٥٩ هـ، أُنظر ترجمته في: «ذيل تذكرة الحفاظ» للحسيني: ص ٥٩ - ٦١، و«الدرر الكامنة»: ٤/٢٨٣، و«شذرات الذهب»: ٦/١٨٨، و«الرد الوافر»: ص ٦١.

كتب بخطِّه في: طبقة سماع «لجزء الحسن بن عَرفه»: الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، الأوحد، البارع، الحجة، الحافظ، الزاهد، العابد، الورع، شيخ مشايخ الإسلام، بقية الأئمة الأعلام. إمام الأئمة، قدوة الأمة، علامة الزمان، فريد العصر والأوان، بحر العلوم: تقي الدين، أبي العباس، أحمد... وذكرَ بقية نسبه، وبقية المشايخ. ثُمَّ قالَ: بقراءة الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، الحافظ، الناقد، البارع، مؤرخ الإسلام، عَلَم الدين البِرْزالي.

١٦ - ومنهم:

الشيخ، العالم، الفاضل، المحدث، المؤرخ، المفيد، الأديب، أبو محمد، الحسن ابن الشيخ، الإمام، الحافظ، عمر بن الحسن بن عمرو بن حبيب، الدِّمشقي، الحلبي(١).

سمع الحديث، وجمعَ فأوعى، وسَمِعَ وروى. وله مؤلفات عِدَّة، منها: «درة الأسلاك في دولة الأتراك»(٢)، قال فيه: في ترجمة - سنة ثمان وعشرين وسبعمائة -: وفيها توفي شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. بحرٌ زاخرٌ في النَّقليات، وحَبْرٌ ماهر في حفظ عقائد العقليات. وإمام في معرفة الكتاب والسُّنّة، وهمّام لا يميل إلى حلاوةٍ من المِنّة. كان ذا ورع زائد، وزهد فرعه - في روضِ الرِّضى - مائد. وسخاء وشجاعة، وعزلة وقناعة. وتصانيف مشهورة، وفتاوى أعلامُها منشورة. يصدع بالحق، ويتكلم فيما جَلَّ ودَقَّ. ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويثابر على إقامة الحدود؛ إنْ شُكِرَ أو لم يُشْكَر.

---

(١) أنظر ترجمته في: «سِير أعلام النبلاء» للذهبي: ٦٦/٥، و«الدرر الكامنة»: ٢٩/٢، و«آداب اللغة»: ١٧٣/٣، و«الرد الوافر»: ص ٩٦.

(٢) مطبوع، وقد أرَّخ به أخبار الأتراك من سنة ٦٤٨ -- ٧٧٨ هـ.

١٧ ـ وكذلك العلامة، صاحب «الفتاوى القاسمية»[١] في مذهب السادة الحنفية. يترجم ابنَ تيمية: «بشيخ الإسلام» عند ذكره في عدَّةِ مواضع مِن فتاويه.

وبالجُملة: فذكر العلماء الأعلام الذين ترجموا ابنَ تيمية: بشيخ الإسلام، وأثنوا عليه مما يَطول وهم كثير جداً، ذكر منهم صاحبُ «الرد الوافر» نحو ثمانين، يترجمهم، ثُمَّ يذكر مَدْحهم لابن تيمية.

وقد قالَ الشيخ الإمام، قاضي قضاة مصر والشام، مفتي المسلمين، محمد ابن الشيخ صفي الدين، الأنصاري، الحنفي، ابن الحريري[٢]: إن[٣] لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام، فمن؟!.

وَسُئل الشيخُ الإمامُ، العلامةُ، المحدثُ، أبو حفص، عمرُ بن مسلم القرشي[٤]، قاضي أهل دمشق في عصره، وواعظ أهلَ مصر عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية. فقال: هو شيخ الإسلام على الإطلاق.

وقد أثنى على الشيخ ابن تيمية: علماءُ بغداد، وأرسلوا كُتُباً في شأنه[٥] ـ لَمَّا كان محبوساً بالقلعة ـ مكتوبٌ فيها: ثم إن هذا الشيخ المعظم الجَلَيل، والإمام المكرم النَّبيل، أوحد الدهر، فريد العصر، طراز المملكة

---

(١) وهي للشيخ قاسم بن قطلوبغا بن عبدالله المصري، الحنفي، محدث، فقيه، مؤرخ، مِن تصانيفه: تاج التراجم في طبقات الحنفية، وشرح مصابيح السُنَّة للبغوي. انظر: «الضوء اللامع»: ٦/١٨٤ ـ ١٩٠، و«شذرات الذهب»: ٧/٣٢٦.

(٢) شمس الدين، صاحب كتاب «شرح الهداية» في فروع الفقه الحنفي، توفي بمصر سنة «٧٢٨ هـ». انظر: «الدرر الكامنة»: ٤/٣٩ ـ ٤٠.

(٣) الكواكب الدُّرِّية: ورقة ٣ أ.

(٤) كان بارعاً في التفسير، يحفظ المتون، ويعرف أسماء الرجال، ويشارك في العربية، وكان مشهوراً بقوة الحفظ وعدم النسيان، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مِن مصنفاته «المسألة النصيرية»، توفي سنة ٧٩٢ هـ. انظر: «الدرر الكامنة»: ٣/٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٥) «الكواكب الدرية»، ورقة ٣٢.

الملكية، وعلم الدولة السلطانية. لو أقسَمَ مُقْسِمٌ بالله العظيم القدير: إنَّ هذا الإمامَ الكبيرَ ليس له في عصره مماثلٌ ولا نظير، لكانت يمينه بَرَّةٌ غنيَّةٌ عن التكفير. وقد خلت من وجود مثله السبعةُ الأقاليم إلا هذا الإقليم، يوافق على ذلك كلُّ مُنْصِفٍ جُبِلَ على الطبع السليم. ولسنا بالثناء عليه نطْريه، بل لو أطنب مطنب في مدحه والثناء عليه، لَما أتى على بعض الفضائل التي فيه: أحمد بن تيمية، درة يتيمة يُتَنافس فيها، تُشترى ولا تُباع، ليس في خزائن الملوك درةٌ تماثلها وتؤاخيها. انقطعت عن وجود مثله الأطماعُ، ولقد أصَمَّ الأسماع، وأوهى قوى المتبوعين والأتباع؛ سماعَ رفع أبي العباس أحمد بن تيمية إلى القلاع. وليس يقع مِن مثله أمرٌ يُنْقم منه عليه، إلا أن يكون أمراً قد لبس عليه، ونسب إلى ما لا ينسب مثلَه إليه.

والتطويل على الحضرة العلية لا يليق، إنْ يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق. أرسلوها في مكاتباتهم وفتاويهم؛ المُوافِقَة لقوله، النّاصرة له. وقد ذكرتُ ذلكَ كلَّه في: كتاب «مناقب ابن تيمية»[1].

ولقد أنْصَفَ ابنُ فضل الله العمري حيث قال: في ترجمة ابن تيمية[2]: «فلقد اجتمع عليه عصبُ الفقهاءِ والقضاةِ بمصرَ والشام، وحشدوا عليه خيلَهم ورَجلَهم، فقطعَ الجميع، وألزَمهم الحجج الواضحات أيّ إلزام، فَلَمَّا أفلسوا أخذوهُ بالجاهِ والحكّام، وقد مضى ومضوا إلى المليك العَلاَّم ﴿ لِيجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَ الذينَ أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم: ٣١].

---

(١) ٣١ ب - ٣٣ ب من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة ييل في لاندبيرج تحت رقم ٢٤٣. وهي بخط مصنفها - رحمه الله تعالى - وفي خزانة كتبي نسخة مصورة منها. وأسألُ اللهَ أن يعينني على إتمام تحقيقه بفضله وتوفيقه.

(٢) أنظر: «الرد الوافر»: ص ٨٤.

فصل: في وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية

قالَ الشيخُ، الإمامُ، العالمُ، العلامةُ، الحافظُ، ثِقةُ المحدثين، عمدةُ المؤرخين، علمُ المفسرين، ابنُ كثير، الدمشقي الشافعي، في «تاريخه»[١]: «ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة في ذي القعدة، منها: كانت وفاة شيخ الإسلام، أَبي العباس، أَحمد بن تيمية ـ قَدَّسَ اللهُ روحه ـ قال: وقد اتفق موته في سحر ليلة الإثنين، فذكر ذلك مؤذنُ القلعة على المنارة بها، وتكلم بها الحُرّاس على الأَبرجة. فما أَصبح الناسُ إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب الجسيم. فبادرَ الناس إلى الاجتماع حول القلعة مِن كل مكان أمكنهم المجيء منه، حتى مِن الغوطة، والمرج. ولم يطبخ أَهلُ الأَسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيراً مِنَ الدكاكين، التي مِنْ شأنها أَنْ تفتح أوائل النهار ـ على العادة ـ وكان نائب السلطة قد ذهب يتصيد في بعض الأَمكنة».

ثمَّ ذكر ابنُ كثير[٢]: صفةَ غَسلِهِ، وحملِهِ، والصلاةِ عليه، والناس في بكاء وتهليل ـ في مخافة ـ كلُّ واحد في نفسه، وفي ثناءٍ وتأَسف. والنساء فوق الأَسطحةِ ـ من هناك إلى المقبرة ـ يبكين، ويترحَّمنَ.

---

(١) »البداية والنهاية«: ١٤/١٣٥.

(٢) «البداية والنهاية»: ١٤/١٣٥ ـ ١٤١.

قال: وبالجملةِ كان يوماً مشهوداً، لم يُعْهد مثله بدمشق ولا يمكن أَحد حَصْرَ مَنْ حَضَرَ الجنازة.

قال: وَرُثِيَ بأَشعارٍ كثيرة، وقصائد مطولة جداً[١]. وقد أُفْرِدَتْ له تراجمُ كثيرة، وَصَنَّفَ في ذلك جماعةٌ مِنَ الفضلاء[٢].

قالَ: «وبالجملة كان ـ رحمه الله ـ مِن كبار العلماء ممن يُخطىء ويُصيب، ولكن كان خطأه بالنسبة إلى صوابِهِ كنقطة في بحرٍ لُجِّي، وخطأه ـ أيضاً ـ مغفورٌ لَهُ. كما صحَّ في البخاري[٣]: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فلَهُ أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فلَهُ أجر» فهو مأْجور. وقالَ الإمامُ مالك بن أنس: كلُ أحدٍ يُؤْخذُ مِن قوله ويُتْرَك إلا صاحب هذا القبر ـ ﷺ ـ». إنتهى كلام ابن كثير ملخصاً.

وقال الحافظ البرزالي في «تاريخه»[٤]: «وفي ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة: توفي الشيخ، الإمام، العلامة، الفقيه، الحافظ، الزاهد، القدوة، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، أحمدابن شيخنا الإمام، المفتي، شهاب الدين، أبي المحاسن، عبد الحليم ابن الشيخ، الإمام، شيخ الإسلام، مجد الدين، أبي البركات عبد السلام بن تيمية: بقلعة دمشق، في القاعة التي كان محبوساً فيها. واجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق. وامتلأ الجامع، وصحنه، والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات. وحضرت الجنازةُ الساعة الرابعة، ووضعت في

(١) أفرد الشيخ مرعي الحنبلي فصلاً كبيراً في كتابه «الكواكب الدُّرِّية»: ٣٥ـ٤٩أ تزيد على إحدى عشر قصيدة مِن القصائد الطِّول.

(٢) منها: كتاب «العقود الدرية» لابن عبد الهادي، وكتاب «الأعلام العَليَّة» للحافظ أبي حفص عمر البزار، والدُّرَّة اليتيمة في السيرة التيمية للحافظ أبي عبدالله الذهبي.

(٣) «صحيح البخاري»: ٩/١٣٢ـ١٣٣، في الاعتصام، باب أجرِ الحاكم إذا اجتهدَ فأصابَ أو أخطأ، مِن حديث عمرو بن العاص.

(٤) «الكواكب الدرِّية»، ورقة ٣٤.

الجامع، والجُنْدُ يحفظونها مِنْ شدةِ الزِّحام. وصُلِّيَ عليه أولاً بالقلعة، ثم صُلِّيَ عليه بجامع دمشق، عَقِبَ الظهر، وحُمِلَ مِنَ باب البريد. وذكر بقية ذلك.

وَصِفَةَ دَفْنِهِ: قال[١]: وكان دفنهَ وقتَ العصر، وذلك مِن كثرة مَن يأتي ويصلي عليه مِن أهل البساتين، وأهل الغوطة، وأهل القُرى. وغلقَ النَّاسُ حوانيتَهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا مَنْ هو عاجز، مع التَرَحُّم والدعاءِ لَهُ. وحضر نساءٌ كثير بحيث حُزرت بخمسة عشر أَلف امرأة، غير اللواتي كُنَّ على الأَسْطُح، وأما الرجال فَحُزِروا بمائة أَلف إلى أَكثر مِن ذلك إلى مائتي أَلف.

ثم قال: ولا شكَ أَنَّ جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة، بسبب كثرة أَهل بلده، واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له، وإن الدولةَ كانت تُحبُّهُ. والشيخ تقي الدين ابن تيمية توفي ببلدة دمشق، وأَهلُها لا يعشرون أَهل بغداد كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعاً لو جمعهم سلطانٌ قاهر، وديوانٌ حاصر لَما بلغوا هذه الكثرة، مع أَنه مات بالقلعة محبوساً مِن جهة السلطان.

وكثيرٌ مِنَ الفقهاءِ، والفقراءِ يذكرون عنه للناس؛ أَشياء كثيرة، ينفر منها طباعُ أَهل الأَديان، فضلاً عن أَهل الإسلام. وهذه كانت جنازته ـ رحمه الله ـ . انتهى ملخصاً.

وقال بعض مَنْ حضر مِنَ الثِقات[٢]: كنتُ مِمَن صلى عليه في الجامع، وكان لي مُسْتَشْرَفٌ على المكان الذي صُلِّيَ عليه بظاهر دمشق. وجعلتُ أَنظرُ يميناً وشمالاً ولا أَدري أَواخرهم. بل رأَيتُ النَّاسَ قد طَبّقوا تلكَ الأَرض كلّها.

---

(١) «الكواكب الدُّرِّية»، ورقة ٣٤ ب، «العقود الدرية»: ص ٣٨٥ ـ ٣٩٠.

(٢) «الأعلام العلية»: ص ٧٤، و«الكواكب الدُّرِّية»: ورقة ٣٤ أ.

واتفق[١] جماعةٌ مِمَّن حضرَ، وشاهدَ النَّاسَ، والمصلين عليه: على إنَّهم يزيدون على نحو مِن خمسمائةِ ألف. وحضرها نساءٌ كثيرٌ، بحيث حُزِرن بخمسة عشر ألفاً.

قال أهل التاريخ[٢]: لم يُسمع في جنازة بمثلِ هذا الجمع إلا جنازة الإمام أحمد بن حَنْبَل.

قال الدَّارَقطني[٣]: سمعت أبا سهل بن زياد القطان[٢] يقول: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقولُ: قولوا لأهلِ البدع: بيننا وبينكم الجنائز.

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي[٤]: حَزَرَ الحَزَّارون: المصلين على جنازة أحمد، فبلغ العدد بحزرهم ألف ألف وسبعمائة ألف، سِوى الذين كانوا في السُّفن.

وقال ابن فضل الله العُمري[٥]: في ترجمته لابن تيمية: «وكان قبلَ موته قد مُنِعَ الدَّواة والقلم، وطُبع على قلبه منه طابع الألم، فكان ذلك مبدأً مرضه، ومنشأ عرضه. حتىٰ نَزَلَ قفار المقابر، وترك فقار المنابر. وحل ساحة ربه وما يحاذر، وأخذ راحة قلبه مِن اللائم والعاذر. فمات، وما ماتَ، لا بل حَيِيَ، وعرف قدره، لأن مثله ما رُئِيَ. ما برح على المآثر إلى أن صرعَهُ أجله، وأتاه بشيرُ الجنَّةِ يستعجله، فانتقل إلى الله؛ والظنُّ به أنه لا يخجله.

---

(١) المصدر السابق: ص٧٤، و«البداية والنهاية» لابن كثير: ١٤/١٣٦ نقلاً عن البِرزالي.

(٢) «الأعلام العلية»: ص ٧٤، و«الكواكب الدُّرِّية»: ٣٥ أ.

(٣) «الكواكب الدُّرِّية»: ورقة ٣٥ أ، و«العقود الدرية»:ص ٣٩٠، وقال: قال الإمام أبو عثمان الصابوني: سمعت أبا عبد الرحمن السُّلَمي يقول: حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني. فلما رأى ذلك الجمع الكثير أقبل علينا وقال... وفيها: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

(٤) «الكواكب الدُّرِّية»: ورقة ٣٥ أ، «العقود الدرية»: ص ٣٩١.

(٥) «الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية»، ورقة ٣٦.

وكـان يومَ دفنـه يومـاً مشهوداً، ووقتـاً معـدوداً. ضـاقت بـه البلدُ وظواهرها، وتذكرت به أوائل الرَّزايا وآواخرها. ولم يكن أعظم منها ـ منذ مئين سنين ـ جنازة رفعت على الرِّقاب، ووطئت في زِحامها الأعقاب. وسار مرفوعاً على الرؤوس، متبوعاً بالنُّفُوس. تحدوه العبرات، وتتبعه الزفرات. كان أُمةً وحـده، وفرداً حتى نَزَل لَحده.

ورثاه بقصيدة طويلة، منها(١):

بَـرٌّ(٢) السوابق مُمْتَـدَّ العبـارة لا ... ينـالـه ملل فيهـا ولا ضجـرُ
ولم يكن مثله بعد الصحابة في ... علم عظيمٍ وزهدٍ مـا له خَـطَرُ
طريقة كـان يمشي قبل مشيتـه ... بهـا أبو بكـر الصديق أو عُمَـرُ
فَـردُ المذاهب في أقـوال أربعـة ... جاءوا على أثر السباق وابتدروا
لَمَّـا بنـوا قبله عليـا مـذاهبهم ... بنى وعمَّر منها مثـلَ ما عمـروا
مثـل الأئمَّـة قـد أحيـا زمـانهم ... كـأنـه كـان فيهم وهـو منتـظرُ
إن يـرفعوهم جميعـاً رَفع مبتـدأٍ ... فَحَقُّـهُ الـرفـع أيضـاً إنـه خبـرُ
قالوا: قبرناه، قلنا: إنَّ ذا عجب ... حقاً أللكوكب الدري قد قبروا؟!
لم يبكه ندماً مَنْ لا يصيب دماً ... يجـري بـه ديمـاً تهمي وَتَنْهَمِـرُ
لهفي عليكَ أبا العباس كم كرم ... لما قضيت قضى مِن عمره العمرُ
سقىً ثـراكَ مِنَ الوسمي صـيبه ... وزار مفنـاكَ قَـطرٌ كـلُّهُ قَـطَر
يا وارثاً مِن علوم الأنبيـاء نُهى ... أورثتَ قلبيَ ناراً وقدهـا الفِكَرُ
يا واحداً لستُ أستثني به أحداً ... مِنَ الأنـام ولا أُبقـي ولا أَذَرُ
يـا عالماً بنقـول الفقـه أجمعهـا ... أعنـك تحفظ زلات كـما ذكـروا
كم مِن فتى جاهل غِرٍّ أبنت لَهُ ... رُشَدَ المقالِ فزالَ الجهلُ والغررُ

---

(١) «الكواكب الدرية»: ورقة ٣٦ ـ ٣٧، «العقود الدرية»: ص ٥٢٦ ـ ٥٣١ ومَطْلَعها:
أهكـذا في الـدَّيـاجي يُحجب القمرُ ... ويحبس النـور حتى يـذهب المـطرُ
(٢) في «العقود الدرية»: ص ٥٢٧: «بذُّ السوابق» وهو تصحيف.

ما أنكروا منك إلا أَنهم جهلوا عظيم قَدرك لكن ساعدَ القـدرُ
قالوا بأنك قد أخطأت واحدة[١] وقـد يكون، فهـلا مِنْكَ تُغْتَفـرُ
ومَن يكون على التحقيق مجتهداً له الثواب على الحالين لا الوَزرُ
أَلم تكن بـأَحـاديث النـبي إذا سُئِلْتَ تعرف ما تـأتي وما تـذَرُ
حاشاك من شُبَهٍ فيها ومن شَبَهٍ كـلاهما منـك لا يبقىٰ لـه أثَـرُ
عليك في البحث أن تُبدي غوامضه ومـا عليـك إذا لم تفهم البَقَـرُ
قدمت لله ما قـدَّمْتَ مِن عمل وما عليك بهم ذَمُّوك أو شكَروا
هل كان مثلك مَنْ يخفى عليه هدى ومِن سمائِكَ تبدو الأَنجمُ الزُّهُرُ
وكيفَ تحذُر مِن شيءٍ تزل بـه أنتَ التقي فماذا الخوفُ والحَذَرُ

وقد قال الأَفاضل في الشيخ ابن تيمية: مراثي كثيرة، ذكرت جانباً منها في كتابي «الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية»[٢].

وقال الشيخ، الإمام، الحافظ، أَبو حفص، عمر البغدادي، البزار[٣] في ترجمة ابن تيمية: وما وصل خبرُ موته إلى بلد ـ فيما نعلم ـ إلا وصُلِّيَ عليه في جميع جوامعه، ومجامعه، خصوصاً أَرض مصر، والشَّام، والعراق، وتبْريز، والبَصْرَة، وَقُراها، وغيرها.

وأَطالَ في تعداد فضائل الشيخ[٤]، وجمع له ترجمـةً مفردة سمـاها: «الأَعلام العلية في مناقب الإمام ابن تيمية»[٥].

وقد تقدَّم: قول الحافظ ابنُ رجب[٦] أَنَّهُ صلى على ابن تيمية صلاةَ

---

(١) في «العقود الدرية»: ص ٥٣٠: «مسألة».
(٢) ورقة ٣٥ ب ـ ٤٩ أ.
(٣) «الأَعلام العلية»: ص ٧٥.
(٤) المصدر السابق: ص ٢٣ ـ ٧١.
(٥) طبع بتحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد ١٩٧٠ م.
(٦) «ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/٤٠٧.

الغائب في غالب بلاد الإسلام؛ القريبة، والبعيدة، حتىٰ في اليمن والصين. وأخبرَ المسافرون أَنَّهُ: نُوديَ بأقصىٰ بلاد الصين للصلاة عليه ـ يوم جمعة ـ: الصلاة على تُرجمان القرآن ـ رحمه الله تعالى ـ.

اللهمْ تَغَمَّدهُ برحمتك ورضوانك، وأسكنه أعلى فراديس جنّاتِكَ. وانفعنا ببركاته الوافرة، وعلومه الزاخرة، وأنفاسه الطاهرة، وأسراره الباهرة، وأساريره الزاهرة. واجْمَع لنا بين خيري الدنيا والآخرة. آمين، آمين.



خاتمة لطيفة:

فقد كتب جماعةٌ مِنَ الأئمةِ الأماثل، والعلماءِ الأفاضل تقاريظ(١) على كتاب «الرد الوافر»، تصنيف الإمام، العالم، الأوحد، القدوة، الحافظ أبي عبدالله، محمد بن ناصر الدين، الشافعي، خادم السُّنَّة؛ الذي ألفه في الرد علىٰ مَنْ يطعن في ابن تيمية. ولقد بالغ هذا الطاعن، المتهاون بذنبه، والمتجرىء على ربه. فنسبَ الشيخَ إلى الكفر؛ بل نسب معه ـ أيضاً ـ مَنْ أطلقَ عليه: «شيخ الإسلام»(٢).

فانظر إلى ما يقع مِنْ سفهاء الأنام، ورعاع اللِّئام، وغوغاء العوام، ومَنْ يَعُد نفسه بشراً، وهو مِنَ الأنعام. وما هو إلا على حدِّ قول الأعشىٰ(٣):

كناطحٍ صخرةٍ يوماً ليوهنها فَلَم يضرها، وأوهىٰ قَرْنَه الوَعِلُ

وانتقيتُ منه هذه التراجم، مع بعض زوائد لطيفة.

---

(١) وهم سبعةٌ وثمانون عالماً مِن أفاضل علماء الأمة رَتَّبهم على حروف المعجم، ولم يشترط استيعاب مَنْ أثنى على ابن تيمية، بل ذكَرَ مَنْ حضره ذكرُهُ.

(٢) يشير إلى الشيخ علاء الدين محمد بن محمد البخاري، الحنفي المتوفى سنة (٨٤١ هـ).

(٣) «ديوان الأعشى»: ص ٢٠، وفيه: «ليفلقِها» بدل «ليوهنها».

١٨ ـ صورة تقريظ الإمام، الحافظ، ابن حجر العسقلاني[١]:

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وقفتُ على هذا التأْلِيفِ النافع، والمجموعِ الذي هو للمقاصد ـ التي جُمِعَ لأجلها ـ جامع، فتحققت سعةَ إطِّلاعِ الإمامِ الذي صَنَّفَهُ، وتَضَلُّعَهُ مِنَ العلوم النافعة، بما عَظَّمَهُ مِنَ العلماء وشَرَّفَهُ. وشهرة إمامةَ الشيخ تقي الدين ابن تيمية أَشهرُ مِنَ الشمس، وتلقيبه «بشيخ الإسلام» في عصره، باقٍ إلى الآن على الأَلْسِنة الزكيَّة، ويستمر غداً كما كان بالأمس. ولا ينكر ذلكَ إلا مَنْ جهل مقداره، وتجنبَ الإنصاف. فما أعظمَ غلطَ مَنْ تعاطىٰ ذلك، وأكثر عِثاره. ولو لم يكن مِنَ الدليل على إمامة هذا الرجل إلا ما نَبَّهَ عليه الحافظُ الشهيرُ، عَلَمُ الدين البِرزالي في «تاريخه»: أَنَّه لم يوجد في الإسلام مَنْ اجتمع في جنازته مما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين. وأشار إلى أَنَّ جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جداً شهدها مئات أُلوف، ولكن لو كان بدمشق مِنَ الخلائق نظير مَنْ كان ببغداد، بل أَضعاف ذلك. لَمَا تأخر أَحَدٌ منهم عن شهود جنازته ـ وأيضاً ـ فجميع مَنْ كان ببغداد ـ إلا الأَقل ـ كانوا يعتقدون إمامة الإمام أَحمد، وكان أَمير بغداد ـ خليفه الوقت ـ إذْ ذاك في غاية المحبة له، والتعظيم، بخلاف ابنِ تيمية. فكان أَمير البلد ـ حين مات ـ غائباً. وكان أَكثر مَنْ بالبلد مِنَ الفقهاء قد تعصبوا عليه حتى مات محبوساً بالقلعة، ومع هذا فلم يتخلف عن حضور جنازته، والتَّرَحُم عليه، والتأَسُّف إلا ثلاثة أَنفس، تأَخروا خشيةً على أَنفسهم مِنَ العامة. ومع حضور هذا الجمع العظيم، فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته، وبركته، لا بجمع سلطانٍ ولا غيرِهِ. وقد صحَّ عن النبي ـ ﷺ ـ أَنَّه قال: «أَنتم شهداء الله في الأَرض»[٢].

---

(١) أُنظر ترجمته في: «رفع الإصر» للمتَرْجم: ١/٥٨، و«الضوء اللامع»: ٢/٣٦، و«البدر الطالع»: ١/٨٧، و«آداب اللغة»: ٣/١٦٥.

(٢) أخرجه البخاريُّ: ٢/١٢١ في الجنائز، باب ثناء الناس على الميت.

ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعةٌ مِنَ العلماء ـ مراراً ـ بسبب أشياء أنكروها عليه مِنَ الأُصول والفروع. وعُقِدَ له ـ بسبب ذلك ـ عِدَّةُ مجالس بالقاهرة وبدمشق. ولا يحفظ عن أحد منهم انه أفتى بزندَقَتِهِ، ولا حَكَمَ بسفك دمه ـ مع شدة المتعصبين عليه حينئذ ـ مِن أَهل الدولة. حتىٰ حُبس بالقاهرة، ثم بالإسكندرية ومع ذلكَ فكُلُّهم معترف بسَعةِ علمه، وكثرةِ ورعه وزهدِه، ووصفهُ بالسَخاء والشجاعة، وغير ذلك مِن قيامه في نصرة الإِسلام، والدعاء إلى الله في السرِّ والعلانية.

والمسائل التي أُنْكِرت عليه، ما كان يقولها بالتَّشَهي. وهذه تصانيفُهُ طافحة بالرَّدِّ على مَنْ يقول: بالتَّجسم والتبري منه، ومع ذلك فهو بَشرٌ يُخطىء ويُصيب. فالذي أَصاب فيه ـ وهو الأَكثر ـ يستفاد منه، وَيُتَرَحَّم عليه بسببه، والذي أَخطأَ فيه لا يقلد فيه؛ بل هو معذور لأَن أَئِمَّةَ عصره شهدوا له: بأن أدوات الاجتهاد إجتمعت فيه، حتى كان أَشدَّ المتعصبين عليه، والقائمين في إيصال الشرِّ إليه؛ وهو الشيخ كمال الدين «الزملكاني» شَهِدَ له بذلك[١]، وكذلك الشيخ صدر الدين «ابن الوكيل»[٢]؛ الذي لم يثبت لمناظرته غيرُهُ.

ومِنْ أَعجب العجب: أَنَّ هذا الرجل كان أَعظم الناسِ قياماً على أَهلِ البدع؛ مِنَ الروافض، والحلولية، والاتحادية. وتصانيفه كثيرة شهيرة، وفتاويه في ذلك لا تدخل تحت الحصر.

= وأخرجه مسلم رقم ٦٠ في الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خيراً أو شراً مِنَ الموتى، كلاهما من حديث أنس بن مالك.

(١) انظر ذلك في ترجمة «ابن الزملكاني» رقم (٦).

(٢) محمد بن عمر بن مكي، الفقيه الأديب، وكانت له ذاكرة عجيبة، حفظ المقامات الحريرية في خمسين يوماً، وديوان المتنبي في أُسبوع، قال ابن حجر: كان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحدٌ سواه. توفي سنة ٧١٦ هـ. أُنظر: «النجوم الزاهرة»: ٢٣٣/٩، و«فوات الوفيات»: ٢٥٣/٢، و«الدرر الكامنة»: ١١٥/٤.

فيا قُرَّةَ أعينهم إذا سَمِعوا بكفره، ويا سرورهم إذا رأوا مَنْ يُكَفِّر مَنْ لا يُكَفِّرُه.

فالواجب على مَنْ تَلَبَّسَ بالعلم، وكان لَهُ عقلٌ: أن يتأمَّل كلامَ الرجل مِن تصانيفه المشهورة، أو مِن أَلْسِنةِ مَنْ يُوثق به مِنْ أهلِ النَّقلِ. فيردُّ مِنْ ذلكَ ما ينكر؛ فيحذِّر منه على قصدر النُّصح، ولو لم يكن للشيخ تقي الدين إلا تلميذُهُ الشيخُ، شمسُ الدين، ابنُ القَيِّم الجوزية ـ صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف ـ لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته.

فكيف وقد شَهِدَ له بالتقدُّم في العلوم، والتَّمييز في المنطوق والمفهوم؛ أَئِمَّةُ عصره مِنَ الشافعية، وغيرهم، فضلاً عن الحنابلة.

فالذي يُطلق عليه ـ مع هذه الأَشياء ـ الكفر، أَو على: مَنْ سَمَّاهُ شيخ الإسلام: لا يُلْتَفَتُ إليه، ولا يُعَوَّلُ ـ في هذا المقام ـ عليهِ، بل يجبُ رَدُّهُ عن ذلك إلى أن يراجع الحق، ويذعن للصواب. والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونِعْمَ الوكيل.

قال ذلك وكتبه: أحمد بن أحمد بن علي بن محمد بن حجر الشافعي. وذلك في يوم الجمعة، تاسع ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وثمانمائة.

١٩ـ وهذا صورة تقريظ الإمام، الهمام، شيخ الإسلام، صاحب تحرير الكلام، وإمام الحنفية في زمانه، الشيخ العيني[١] ـ رحمه الله تعالى ـ :

إنَّ أَضوع زهر تفتق عنه إكمام أَلسُن الأَنام وأَبدعَ ذكراً يعبق منه طيب الأَفهام، حمد مَن أَجرى ماء التبيان في عود اللسان، لحمل ثمار المعاني

(١) محمود بن أحمد بن موسى، المتوفىٰ سنة ٨٥٥ هـ. انظر: «الضوء اللامع»: ١٠/١٣١ ـ ١٣٥، و«الجواهر المضيئة»: ٢/١٦٥، و«شذرات الذهب»: ٧/٢٨٦، و«آداب اللغة»: ٣/١٩٦.

والبيان. وكشف ضبابه الأوهام بشموس الحقائق، وأبان ما في القلوب بأقمار الحقائق، وأشرع أسنة الخواطر والأفكار بأيدي أنوار البصائر والأبصار إلى ثغر العلوم والأخبار. وأقلع عنا بنسائم ألطافه عجاجة الظنون والشُّكوك. ووقع لنا مناشير الصِّدق في السلوك، وأراحنا في ركوب أعناق الكلام مِنَ العثرات والمَلام. وأراحنا عن مقالات لا يُقال فيها العِثار، ومحلات يستحيل فيها الأعذار.

اللهمّ صلِّ على صاحب الوحي والرسالة، المخلوق مِن طينة والبسالة، الذي أسعدته في ذرى الملكوت، وأعطيته الكتاب، وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب. محمد المصطفى المستأثر بالشفاعة - يوم الحساب - .

وعلى آله الذين تنزَّهوا في رياض نبوته. وأصحابه الذين تقلدوا بسيوف النصرة في دعوته، وعلى علماء الأُمة الذين استظهروا على صدمات الدهر، وصولته بنزع ألسنتهم مِن تفويق سهام الطعن إلى أغراض العصبية، وإقلاع أسنَّةَ خوضهم في أعراض الأنفس الأبية. فلذلك صاروا أنجماً للاهتداء، وبدوراً للاقتداء، فأجدر بهم أن يفوه بمشايخ الإسلام، وأنصار شريعته خير الأنام.

وبعد: فإن مؤلف كتاب «الردِّ الوافر» قد جدَّ في هذا التصنيف البديع الزاهر، وجلا بمنطقه السحار الرد على مَن تفوه بالإكفار، لعلماء الإسلام، والأئِمة الأساطين، والأعلام الذين تبوأوا الدارَ في رياض النعيم، واستنشقوا رياح الرحمة مِن رب كريم. فمن طَعنَ في واحد منهم، أو نقل غير صحيح عنهم فكأنما نفخَ في الرمال، واجتنىٰ مِن خرط القتاد. وكيف يَحلُّ لمن يتسمَّ بالإسلام، أو يتسمى بسمة أو علم أو فهم وإفهام: أن يكفر مِن قبله عن ذلك سليم بهيج، واعتقاده لا يكاد إلى ذلك يهيج، ولكن لم يورِ زَند طبعه في القَريض لم يزل يجد العذاب مُـرّاً كالمريض، والعائب بجهله شيئاً يبدي صفحة معاداته، ويتخبط خبط العشواء في محاوراته، وليس هو إلا كالجعل

باشتمام الورد، يموت حتف أنفه، وكالخفاش يتأذى بظهور سنا الضوء لسوء بصره وضعفه، وليس له سجية نقادة ولا روية وقادة، وما هم إلا صلقع[1] بلقع سلقع[2]، صلمعة بن قلمعة، وهيان بن بيان، وهي بن بي، وصُل بن ضل، وضلال بن التلال.

ومِنَ الشائع المستفيض أنَّ الشيخ الإمام، العالم العلامة، تقي الدين، ابن تيمية مِنْ شُم عرانين الأفاضل، ومِن جم براهين الأماثل، الذي كان له مِنَ الأدب مآدب تغذي الأرواح. ومِنْ نخب الكلام له سلافة تهز الأعطان المراح. ومِنْ ثمار أفكار ذوي البراعة، طبعه المغلق في الصناعة، الخالية عن وصمة الشناعة. وهو الكاشف عن وجوه مخدرات المعاني نقابها، والمنتزع عن عرائس أبكار المباني بكشف جلبابها. وهو الذاب عن الدين طعن الزنادقة والملحدين، والناقد للمرويات عن سيد المرسلين، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين.

فمن قال: إنَّه كافرٌ فهو كافر حقيق، ومَنْ نَسَبَهُ إلى الـزَّندقـة فهو زنديق. وكيف ذاك، وقد سارت تصانيفهُ في الآفاق، وليس فيها شيء مما يدل على الزيغ والشقاق. ولم يكن بحثه فيما صدر عنه في مسألة الزِّيادة والطَّلاق؛ إلا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق. والمجتهـد في الحالتـين مأجـور ومثاب، وليس فيه شيءٌ مما يلام ويعاب. لكن حملهم على ذلك حسدهم

---

(١) مَرَّ تفسيرها في مقدمة المصنف.

(٢) قال المصنف ـ رحمه الله ـ مفسراً هذه الكلمات، في حاشية الكتاب ما نصه: «قال في القاموس: صلقع بلقع: خالٍ، وصلمعة بن قلمعة: لا يعرف. والبلقع: الأرض القفر، والمرأة الخالية من كل خير. والسلقع: كجعفر، المكان الحزن؛ وهو ما غلظ من الأرض. وصل: الجلد المُنتن في الدِّباغ، والريح المنتنة، ونزازة في اللحم النَّدي. والضلال والضل والضلل: ضِدُّ الهدى. والضلال بن التِّلال: أتباع «كذا في القاموس». انتهى.

الظاهر، وكيدهم الباهر. وكفى للحاسد ذمّاً آخر سورة الفلق في احتراقه بالقلق.

ألا وهو الإمام، الفاضل، البارع، التقي، النقي، الورع، الفارس في عِلْمي الحديث والتفسير، والفقه، والأصول بالتقرير والتحرير. والسيف الصارم على المبتدعين والحَبْر القائِم بأمور الدين. والأمار بالمعروف، والناهي عن المنكر ذو همة وشجاعة وإقدام فيما يروع ويزجر. كثير الذكر، والصوم، والصلاة، والعبادة، خشن العيش، والقناعة مِن دون طلب الزيادة.

وكانت له المواعيد الحسنة السنية، والأوقات الطيبة البهية. مع كَفِّهِ عن حُطام الدنيا الدنية. وله المصنفات المشهورة المقبولة، والفتاوى القاطعة غير المعلولة.

وقد كتب على بعض مصنفاته قاضي القضاة «ابن الزملكاني»[1] ـ رحمه الله ـ :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جَلَّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدَّهر

أفلا تكفي شهادة هذا الحَبْر لهذا الإمام، حيث أطلقوا عليه حجة الله في الإسلام. ودعواه أن صفاتَه الحميد لا يمكن حَصْرها، ويعجز الواصفُ عن عَدِّها وسَبْرها. فإذا كان كذلك كيف لا يجوز إطلاق «شيخ الإسلام» عليه، أو التوجه بذكره إليه؟ وكيف يسوغ إنكار المعاند الماكر الحاسد؟!. وليت شعري ما مُتَمَسَّك هذا المكابر الجاهل المجاهر؟. وقد عَلِمَ أن لفظة «الشيخ» لها معنيان: لغوي، واصطلاحي.

(١) «تاريخ ابن الوردي»: ٢/٤١٠، و«طبقات الحفاظ» لابن عبد الهادي: ورقة ٢٧٦ أ، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/٣٩٢، و«العقود الدرية»: ص ٢٥ وفيه أيضاً:

هو آية للخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

فمعناه اللغوي، الشيخ: مَن استبان فيه الكبر.

ومعناه الاصطلاحي، الشيخ: مَن يصلح أن يُتَلْمذ له. وكلا المعنيين موجود في الإمام المذكور، ولا ريب أنه كان شيخاً لجماعة من علماء الإسلام. ولتلاميذه من فقهاء الأنام. فإذا كان كذلك، كيف لا يطلق عليه «شيخ الإسلام». لأن من كان شيخَ المسلمين؛ يكون شيخاً للإسلام.

وقد صَرَّح بإطلاق ذلك عليه قضاة القضاة الأعلام، والعلماء الأفاضل أركان الإسلام. وهم الذين ذكرهم مؤلفُ كتابِ «الرد الوافر»[1] في رسالته التي أبدعَ فيها بالوجه الظاهر. وقد استغنينا بذكره عن إعادته، فالواقف عليه يتأمله، والناظر فيه يتقبله.

وأما مناظرات هذا الإمام فكثيرة في مجالس عديدة. فلم يظهر ذلك لمعانديه فيما ادعي به عليه برهان غير تنكيدات في القلوب، رَسَّخت ثمار الشنان. وقصارى ذلك أَنَّهُ حبس بالظلم والعدوان، وليس في ذلك ما يعاب به ويشان.

وقد جرىٰ على جلَّةٍ مِن التابعين الكِبار: من قُتِل، وقُيِّدَ، وَحُبِسَ، وإشهار. وقد حُبِسَ الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ، ومات في الحبس. فهل قال أحدٌ من العلماء: إنه حُبِسَ حقاً.

وحُبِس الإمامُ أحمد، وقُيِّدَ. لَمَّا قال: قولاً صدقاً والإمام مالك ضُرِب ضرباً مؤلماً شديداً ـ بالسِّياط ـ والإمام الشافعي: حُمِلَ مِنَ اليمَن إلى بغداد ـ بالقيد والإحتياط ـ.

وليس ببدع أن يجري على هذا الإمام، ما جرى على أُولئك الأئِمّة الأعلام.

---

(١) أُنظر كتاب «الرد الوافر»، فقد ذكرَ فيه: سبعاً وثمانين عالماً مِن أعلام العلماء، مِمَّن أثنوا على ابن تيمية، ولقبوه «بشيخ الإسلام».

ثُمَّ ذكرَ العيني وفاة ابن تيمية، وكَثرة الخلائق في جنازته، «ومَرْثية» عمر ابن الوردي فيه[١]. ثم قال:

«وفيه يقول العلامةُ أثير الدين، أبو حيَّان ـ رحمه الله تعالى[٢] ـ »:

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مُضرُ
فأظهرَ الحق إذ آثاره درست وأخمد الشرَّ إذ طارت له الشَّررُ
كنّا نحدث عن حَبْر يجيءُ فها أنت الإمام الذي قد كان يُنْتَظَرُ

ومثل الإمام أَبي حيَّان إذا شهد له: بأنَّه ناصرُ الشريعة ومظهرُ الحق، ومُخْمدُ الشَّر. وأنَّه هو الإمام الذي كانوا ينتظرون مجيئه. كفاهُ مدحاً وتزكيةً.

فإذا كان هذا الإمام بهذا الوَصف، بشهادة هذا العلاّمة، وبشهادة غيره مِنَ العلماء الكِبار. فما يترتب على مَنْ يُطْلِق عليه الزَّندقة؟ أو يَنْبزه بالكفر؟ ولا يَصْدُرُ هذا إلا عن غبي جاهل، أو مجنون كامل. فالأول: يُعَزر بغاية التعزير، ويُشْهَر في المجالس غايةَ التَّشهير. بل يؤبَد في الحبس إلى أن يُحْدِث التوبة، ويرجع عن ذلك بأحسن الأوبة. والثاني: يداوى بالسلاسل والأصفاد، والضرب الشَّديد بلا أعداد.

وهذا كلُّهُ مِن فساد أهل هذا الزَّمان، وتواني ولاة الأمر عن إظهار العدل والإحسان، وقطع دابر المفسدين، واستِئْصال شأفة المدبرين. حيث يتصدى جاهلٌ غَبي يدَّعي أنَّه عالم، يثلب أعراض علماء المسلمين ولا سِيَّما الذين مضوا إلى الحقِّ، وبه كانوا عادلين.

وهذا الإمام ـ مع جلالة قدره في العلوم ـ نقلت عنه ـ علىٰ لسان جمٍّ غفير مِنَ النّاس ـ كرامات ظهرت منه بلا التباس، وأجوبة قاطعة عند السؤال مِنَ المعضلات. مِنْ غير توقف بحالة مِنَ الحالات.

(١) تقدمت في ترجمة ابن الوردي رقم (٣).
(٢) تقدمت كاملة في ترجمة أبو حيَّان رقم (٤).

ومِنْ جُملةِ ما سُئِل عنه(١) - وهو على كرسيِّهِ يعظ النّاس، والمجلس غاصٌ بأهله - : في رجل يقول: ليس إلا الله ويقول: الله في كل مكان، هل هو كفر أو إيمان؟.

فأجاب على الفور: مَنْ قال أنَّ اللهَ - تعالى - بذاته في كل مكان. فهو مخالف للكتاب، والسُّنّة، وإجماع المسلمين. بل هو مخالف للمِلَل الثلاث.

بل الخالق - سبحانه وتعالى - بائِن مِنَ المخلوقات ليس في مخلوقاته شيءٌ مِن ذاته. ولا في ذاته شيءٌ مِن مخلوقاته. بل هو الغني عنها، البائِن بنفسه منها.

وقد اتفق الأَئِمة مِن الصحابة والتابعين، والأَئِمةِ الأَربعة وسائر أَئِمة الدين: أن قوله تعالى: ﴿ وهو مَعَكُم أينما كُنتم، والله بما تَعْملون بَصيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]: ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات، وحالٌ فيها. ولا أنه بذاته في كل مكان. بل هو - سبحانه وتعالىٰ - مع كلِّ شيءٍ بعلمه، وقدرته، ونحو ذلك. فالله - سبحانه وتعالى - مع العبد أينما كان، يسمع كلامه، ويرىٰ أفعالَه، ويعلم سِرَّه ونجواه. رقيبٌ عليهم، مهيمنٌ عليهم. بل السموات الأَرض وما بينهما كلُّ ذلك مخلوق لله. ليس الله بحالٍّ في شيءٍ منه - سبحانه - : ﴿ لَيسَ كَمِثلِهِ شيءٌ وهو السَّميعُ البَصير ﴾ [الشورىٰ: ١١] لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا أَفعاله.

بل يوصف اللهُ: بما وصفَ به نفسه، وبما وصفه رسولُهُ. مِن غير تكييف ولا تمثيل، ومِن غير تحريف ولا تعطيل. ولا تمثل صفاته بصفات خلقه.

ومذهب السلف: إثباتٌ مِن غير تَشبيه، وتنزيهٌ بلا تعطيل. وقد سُئِل الإمامُ مالك - رضي الله عنه - عن قوله تعالى: ﴿ الرحمنُ على العرشِ

(١) أُنظر: «الرد الوافر»: ص ١٦٤.

استوى ﴾ [طه: ٥] فقال: الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ بـهِ واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدعة.

فهذا الإمامُ كما رأيتَ عقيدتَه، وكاشفتَ سريرتَه. فَمَنْ كانَ على هذه العقيدة كيف يُنسب إلى الحلول والاتحاد، والتجسيم، أو ما يذهب إليه أهل الاتحاد؟!.

أعاذنا اللهُ وإياكم مِنَ الزَّيغ والضَّلال والفَساد، وهدانا إلى سُبُلِ الخير والرَّشاد. إنَّه على كل شيءٍ قدير، وبالإجابة جدير.

حرَّرَه مُنَمِّقاً فقير ربه الغني؛ أبو محمد، محمود بن أحمد العَيني. عامَلَهُ الله بلطفه الخفي والجلي. بتاريخ الثامن عشر مِنْ ربيع الأول، عام خمسة وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة.

٢٠ ـ وهذا صورة تقريظ الإمام، وشيخ الإسلام التَّفِهْني، الحنفي(١):

الحمد لله الذي جعل قلوبَ العلماء كنوز لطائف الحكم، وألسنتهم مكفوفة عمّا فيه نَقص، أو جرح، أو ألم، وأسماعهم عن سماع قول الفحش في صمم. وخَصَّهم بين الأنام بجلائل النِّعم. وجعلهم محفوظين عن الخوض في الأعراض، متجانبين عما يؤدي إلى ظهور الأغراض.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد، المبعوث للعرب والعجم. وعلى آلـه، وأصحابه ذَوي الكرم والهمم.

وبعد: فإنَّ صاحب هذا التأليف قد أمعنَ وأجادَ، وبيَّنَ، وأتقنَ وأفادَ؛ فيما هو المقصود والمراد مِنَ الردِّ على مَنْ أكفر علماء الإسلام، وهم الأئِمَّة

---

(١) زين الدين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن أبو هريرة التَفِهْني، ثم القاهري الحنفي القاضي، والتَّفِهْني، نسبة إلى تَفِهْن قرية بمصر. توفي سنة ٨٣٥ هـ. «شذرات الذهب»: ٢١٤/٧.

الأعلام، بنسبتهم الشيخَ، العالمَ، الناسكَ، تقي الدين، ابن تيمية إلى كونه «شيخ الإسلام».

فنقول ـ وبالله التوفيق ـ : إنَّ الشيخ تقي الدين، ابن تيمية كان ـ على ما نُقل إلينا مِنَ الذين عاشروه، وما اطلعنا عليه مِن كلام تلميذه «ابن القيِّم الجوزية»، الذي سارت تصانيفه في الآفاق ـ : كان عالماً، مفنناً، متقناً، متقلِّلاً مِنَ الدنيا، معرضاً عنها، متمكناً مِنْ إقامةِ الأدلةِ على الخصوم، حافظاً للسُّنَّة، عارفاً بطرقها، عالماً بالأصلين: أُصول الدين، وأُصول الفقه. قادراً على الإستنباط لإستخراج المعاني، لا يلومه في الحق لومة لائم. قائماً على أهل البدع، المجسِّمة، والحلولية، والمعتزلة، والرَّواقص، وغيرهم.

والإنسان إذا لم يُخالط، ولم يُعاشر؛ يُسْتَدلُ على أحواله، وأوصافه: بآثاره[1].

ولو لم يكن مِنْ آثاره إلا ما اتَّصَفَ به تلميذه «ابنُ القيم الجوزية» مِنَ العلم. لكفى ذلك دليلاً على ما قلناه.

وما نقلَ إلينا مما اجتمع في جنازته مِنَ الخلق التي لا تحصى حتى شبهت جنازتُهُ بجنازة الإمام «أحمد» ـ رضي الله عنه ـ عبرة لمن اعتبر.

وما نقل إلينا: مِنْ تسلطه على الجآن المردة، عبرة أيضاً[2]. قال تلميذُه «ابن

(١) هذه قاعدةٌ جليلةٌ في الجرح والتعديل، فيها مِنَ الدِّقة والإنصاف ما يستوجب الإهتمام بها، والتأكيد عليها، فلا كل مَنْ قال صَدق في المقال، وخصوصاً بما يتعلق بأئمة الهدى والفضل، فينبغي تمحيص ما قيل في حَقهم مما لا يليق بجلالة قدرهم، وعظيم منزلتهم وما عرفوا به من استقامة وسداد، لا سيما إذا كانت تلك الأقوال ممن لا يوثق بعلمه أو كان ممن يغلب عليه الهوى والعصبية. وما ذكره الإمام التِّفِهْني ـ في ترجمة ابن تيمية ـ مِن التطبيق لهذه القاعدة يُغني عن ضرب المثال، والتوسع في المقال.

(٢) انظر الفصل التاسع مِن كتاب (الأعلام العلية): ص ٥٣ ـ ٥٨، فقد أفرده لكرامات ابن تيمية، وفراسته ـ رحمه الله ـ .

القيِّم الجوزية»، عند كلامه عن الصَّرع، في «الطِّبِّ النبوي»[1] واختار: أن الصَّرع على قسمين، صرعٌ يتعلق بالأخلاط، وصرعٌ يتعلق بالأرواح الخبيثة، كان[2] شيخنا ابن تيمية يأتي إلى المصروع، ويتكلم في أذنه بكلمات، فيخرج الجنيُّ منه فلا يعود إليه بعد ذلك. وحكايته مع الذي اختطفت زوجته معروفة. ومع الذي كان يرتفع إلى السَّقف معروفة ـ أيضاً ـ.

فمن كان يتصف بهذه الأوصاف، كيف لا يُلَقَّب «بشيخ الإسلام»؟.

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة: لا يجوز تكفير أحدٍ من أهل القبلة. أعمَّ مِنْ أن يكون: سُنِّياً، أو معتزلياً، أو شيعياً، أو مِنَ الخوارج. وهو المروى عن أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ فإنه سُئِل عن طائفة مِنَ الخوارج؟ فقال: هم أخبث الخوارج. فقيل: هل تُكَفِّرهم؟ فقال: لا. وهكذا المروي عن الشافعي، والأشعري، وأبي بكر الرازي.

وقد أخبرني: مَنْ حضرَ مجلس هذا المُكَفِّر فقال: ابن تيمية كافر مجوسي، اليهود والنَّصارى خير منه. فإنَّ النَّصارى واليهود لهم كتاب، وابن تيمية لا كتاب له. فنعوذُ بالله مِن هذه النزغة الشيطانية، الفظيعة القبيحة. مع أنَّهُ لم ينقل عن ابن تيمية كلام يقتضي كفراً، ولا فسقاً، ولا ما يشينه في دينه.

وقد كُتبت في زمنه محاضر بجماعة مِنَ العلماء العدول، اطلعنا عليها، بأنه لم يقع منه شيء مما يشينه في دينه، ووصفوه في تلك المحاضر بأعظم مما قلناه مِنْ أوصافه المتقدمة. وإنما قامَ عليه بعضُ العلماء في مسألَتي الزيارة والطلاق، وقضيته مَن قام عليه مشهورة.

والمسألتان المذكورتان ليستا مِن أُصول الأديان. وإنما هما مِنَ فروع

(١) ص ٦٦.

(٢) ص ٦٨ ويظهر أنَّ (التَّفِهْني) ينقل الكلام بالمعنى.

الشريعة، التي أجمع العلماء: على أنَّ المخطىء فيها مجتهداً ـ مثابٌ ـ لا يُكَفَّر ولا يُفَسَّق. والشيخ كان يتكلم في المسألتين بطريق الإجتهاد.

وقد ناظره مَنْ أنكر عليه فيهما ـ مناظرة مشهورة بأدلَّة يحتاج ـ مَنْ عارضه فيها ـ إلى التأويل». ثم قال بعد كلام طويل عن المعترض: وكما وقع له مثل ذلك في حقِّ شخص مِمَن أجمع النَّاس على علمه وخيره ودينه وتبحره في العلوم، وهو الشيخ: شمس الدين البِسَاطي[1]، قاضي القضاة، المالكي، بالديار المصرية.

فنسأل اللهَ أَنْ يتوبَ عليه، وأن يصونَ لسانَهُ ولسانَنَا عن الزَلَل. آمين.

قال ذلك عبد الرحمن التَّفِهْني الحنفي، عامله اللهُ بلطفه الخفي. في رابع عشر، ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وثمانمائة.

٢١ ـ هذا صورة تقريظ ما كتبه الشيخ، الإمام، وشيخ الإسلام البُلْقيني[2]:

قال بعد الخطبة: وقفتُ على هذا التصنيف الجامع، والمنتقى البديع المطرب للسامع، وعملت بشروط الواقفين مِن استيفاء النظر. فوجدته عِقداً منظماً بالدرر. يفوق عقود الجمان، ويزري بقلائد العقيان، ويضوع مسك الثناء على جامعه مدى الزَّمان. وقالَ لسانُ الحال في حَقِّهِ[3]: «ليس الخبر كالعيان» وكيف لا وهو مشتمل على مناقب عالم زمانه، والفائق على أقرانه،

(١) محمد بن أحمد بن عثمان، توفي سنة ٨٤٢ هـ، انظر: «الضوء اللامع»: ٧/٥، و«بغية الوعاة»: ص ١٣، و«شذرات الذهب»: ٧/٢٤٥.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير، الحافظ المجتهد، توفي سنة ٨٠٥ هـ. انظر: «الضوء اللامع»: ٦/٨٥، و«حسن المحاضرة»: ١/١٨٣، و«شذرات الذهب»: ٧/٥١.

(٣) الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلَّام: ص ٢٠٣، و«مجمع الأمثال للميداني»: ٢/١٨٢، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري: ٢/٣٠٣، ويروى: «كالمعاينة»، وهو جزء من حديث أخرجه أحمد في «مسنده»: ١/٢١٥، ٢٧١.

والذابِّ عن شريعة المصطفى باللسان والقلم، والمناضل عن الدين الحنيفي، وكم أبدى مِنَ الحِكم.

صاحب المصنفات المشهورة، والمؤلفات المأثورة؛ الناطقة بالرد على أهل البدع والإلحاد، القائلين بالحلول والاتحاد. ومَن هذا شأنه كيف لا يلقب بشيخ الإسلام؟ وينوه بذكره بين العلماء الأعلام. ولا عبرة بمن يرميه بما ليس فيه، أو ينسبه بمجرد الأهواء إلى قول غير وجيه. فلم يضره قول الحاسد والباغي، والجاحد والطاغي.

وما ضرَّ نورَ الشمس إن كان ناظراً إليه عيون لم تزل دهرها عَمْيا
حَسَدوا الفتى إذْ لَمْ ينالوا سَعْيَهُ فالقومُ أعداءٌ لَهُ وخصومُ

أعاذنا الله مِنَ حسدٍ يَسدُّ بابَ الإنصاف، ويصدُّ عن جميل الأوصاف.

وكيف يجوز أنْ يكفرَ مَنْ لَقَّبَ هذا العالم «بشيخ الإسلام» ومذهبُنا: أنَّ مَنْ أكفر أخاهُ المسلم ـ بغير تأويل ـ فقد كَفَر. لأنه سَمَّىٰ الإسلامَ كُفراً.

ولقد افتخرَ قاضي القضاة، تاج الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ في ترجمة أبيه الشيخِ «تقي الدين السُّبكي» في ثناء الأئِمة عليه(١): بأَنَّ الحافظَ المِزِّي لم يكتب بخطه لفظة «شيخ الإسلام» إلا لأبيه، وللشيخ تقي الدين، ابن تيمية، وللشيخ شمس الدين، ابن أبي عمر: فلولا أَنَّ ابنَ تيمية في غاية العلو في العلم والعمل، ما قرنَ ابنُ السُّبكي أباه معه في هذه المنقبة التي نقلها. ولو كان ابنُ تيمية مبتدعاً، أو زنديقاً؛ ما رضي أن يكون أبوه قريناً له.

نعم، قد نُسِب الشيخ، تقي الدين، ابن تيمية لأشياء أنكرها عليه

---

(١) «طبقات الشافعية»: ١٠/١٩٥.

معاصروه(١). وانتصب للردِّ عليه الشيخ تقي الدين، السبكي في مسألتي الزيارة والطلاق. وأفردَ كلًّا منهما بتصنيف. وليس في ذلك ما يقتضي شينه أصلًا. وكلُّ أحدٍ يُؤْخذ مِن قوله، ويُترك، إلا صاحب هـذا القبر ـ يعني النبي ـ ﷺ ـ والسعيد مَنْ عُدَّت غلطاتُه، وانحصرت سقطاتُه.

ثم إنَّ الظنَّ بالشيـخ تقي الدين: أنَّـه لم يَصدر منه ذلكَ تَهـوراً وعدواناً ـ حاشا لله ـ بل لعلَّه لرأيٍ رآه، وأقام عليه برهاناً. ولم نقف إلى الآن ـ بعد التتبع والفحص ـ على شيء مِنْ كلامِهِ يقتضي كُفْرَهُ، ولا زندقته إنما نقف على رَدِّه على أهل البدع، والأهواء، وغير ذلك. مما يَدُل عـلى براءته، وعلو مرتبته في العلم، والدين.

وتوقير العلماء، والكبار، وأهل الفضل مُتَعَيِّن وقد صحَّ أنَّ رسـولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يرمي رجلٌ رجلًا بالفِسق، أو الكُفْر إلا ارتَدَّت عليه، إنْ لم يكن صاحِبُهُ كذلك»(٢). إنتهى ملخصاً، والله أعلم.

وكتبه الفقير إلى الله: صالح بن عمر البلقيني، الشافعي، في ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وثمانمائة.

وقد كتب ـ أيضاً ـ جماعاتٌ آخـرون مِن التقريظ أضـربنا عنـه خوف الإطالة(٣). وصلى الله وسلَّم على سَيِّد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آل كلٍ، وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قال «المصنف» في الحاشية ما نَصُّه:

«وقد انتصب للردِ على «السُّبكي» تلميذ ابن تيمية، الحافظ «ابن عبد الهادي» في كتابه «الصارم المنكي في الردِّ على السبكي». بحيث أنَّ مَن طالعة حكم: بأن السبكي لا يعرف علم الحديث، وأنّه جاهل فيه، ومتعصب على ابن تيمية غاية التعصب بموجب الحسد والمكابرة. ومن شكَّ في ذلك فليراجع الكتاب المذكور» انتهى.

(٢) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يُنْهى من السِّباب واللَّعْن: ١٨/٨.

(٣) منهم:

أ ـ الشيخ البساطي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان، أبو عبدالله، قاضي قضاة المالكية بمصر، توفي سنة ٨٤٢ هـ.

=

٢٢ ـ قال المؤلف: مرعي الحنبلي ـ سامحه الله تعالىٰ ـ :

قد أحببت أن أكتب ترجمة في ابن تيمية، شيخ الإسلام اقتداءً بأُولئك الأئِمة الأَعلام، ومحبة في ذلك الإمام.

فأقولُ: قد علمنا علمَ اليقين، وتحققنا التحقيقَ المبين مِنَ الثقاتِ الناقلين، وأئِمةِ الحديثِ الناقدين: أنَّ ابنَ تيمية؛ الشيخ تقي الدين، هو الإمام، الحافظ، الحجة، العلم، المجتهد، الضابط، المتقن، المفسِّر، أعجوبة الزَّمان، ترجمان القرآن. سَيِّد المحققين، وسَنَد المُدَققين، وشيخ الإسلامِ والمسلمين. والمعراج الأَعلى في المعارف، والمنهاج الأَسنى في الحقائق والعوارف. بُروجُ سماءِ معرفتهِ كواكبُ العناية، ومنشورُ رياضِ حضرة أَعلام الولاية. بحرٌ ليسَ للبحرِ ما عنده للجواهر، وحَبْر سما على السماء وأينَ للسماء مثلَ ما له مِن الزواهر. إنتظمتْ بقدرِهِ العظيم عقودُ المِلَّة الإسلامية، وابتسمتْ بِدُرِّه النظيم ثغورُ الثغورِ المحمدية. تَنَوَّعَ في المباحثِ وفنونِها، وتضوَّعَ في الرياض وغصونِها، وتفوَّه بفصاحةٍ وبلاغة، فصاحة قيس وبلاغة أوس من دونها. وخاض من العلوم في بحار عميقة، وراضَ النفسَ ففاقَ في سلوك الطريقة، وهو فخر المتأخرين على الحقيقة.

تَـقَـدَّمَ راكبـاً فـيهـم إمـامـاً ولـولاهُ لَمـا رَكـبـوا وراءه

فريدُ العَصر إلا أنه شيخُ الإسلام، وحيدُ الدَّهر إلا أَنَّه لا يقبل فضله الانقسام، ومفردُ الزمان إلا أنه القائم مقام الجمع، والمستغرقُ لأَوصافِ

= ب ـ العلامة رضوان بن محمد بن أبي نعيم العقبي، الشافعي، المصري، مِن حفاظ الحديث، توفي سنة ٨٥٢ هـ.

جـ ـ العلامة البغدادي، أبو الفضل أحمد بن نصر الله بن أحمد المحب الحنبلي، انتهت إليه إمامة المذهب في زمانه، توفي سنة ٨٤٤ هـ.

د ـ العلامة الحافظ أبو الوفاء إبراهيم بن خليل الحلبي الحنفي، من مصنفاته: «ملتقى الأبحر»، المتوفى سنة ٩٥٦ هـ.

الإنسان عند كلِّ منظر وسمع. وخلاصة أهل الفِرَقِ والتَّميز، وكشاف أسرار البلاغة باللفظ الوجيز. إذا أتعب راحته بقلم الفُتْيا، أراحَ أرواحَ أهل الدنيا.

حَبْر إذا مَدَّ اليراعَ جرى النَّدى   مِن راحتيهِ فضائلاً وعجائبا
كالبحرِ يَقْذِفُ للقريبِ جواهراً   جُوداً ويبعثُ للبعيدِ سحائبا

المتحلي كلامه بقلائد العقيان، ونظامه ببلاغة قِس، وفصاحة سحبان. كيف لا وهو الفصيح الذي إن تكلَّم أجزل وأوجز، وأسكت كلَّ ذي لَسنٍ ببلاغته وأعجز. بل البحر الذي جرت فيه سفن الأذهان فلم يُدْرَك قراره، وعجزَ النظراء والبلغاء فلم يخوضوا تيّاره. ما برز في موطن بحث إلا برَّزَ على الأقران، ولا أجرىٰ جياد علومه إلى غاية إلا كانت مطلقة العِنان. ولا أخبر عن فضله مَنْ رآه إلا تمثل بـ: «ليس الخبر كالعيان»(١). سارت بتصانيفه الركبان، وتفنن بمدحها أولوا الفخامة والشَّانِ:

تصانيف قد أنشأ بحسنِ براعةٍ   وحسنِ عباراتٍ كَدُرٍّ تَنَضَّدا
فسار بها مَنْ لا يسير مُشمِّرا   وغَنَّى بها مَنْ لا يغني مُغَرِّدا

فإن كنت تعرف الحقَّ عرفتَ أهلَه، أو تدري ما الفضل أدركت فضلَه؛ إلا أن تكون ذا عصبية وَحَمِيَّة، فتجحد بالهوى فضائل ابن تيمية. وتعمى عن لمعان أنواره البهية. شعر:

إذا لم يكن للمرءِ عَينٌ صحيحةٌ   فلا غرو أن يرتابَ والصبحُ مُسفرُ
ومَنْ يتَّبع لهواه أعمى بصيرة   ومَنْ كان أعمىٰ في الدُّجا كيف يُبْصر

فطالع كتابَه «الكواكب الدُّرِّية في الرد على الروافض والإمامية» تجد العجب. أو الرد على اليهود، والنصارى، وأهلِ البدع يداخلك الطرب. ومواعظه تجد فيها حكمة لقمان، أو فتاويه تجد عندها أبا حنيفة النُّعمان، أو

(١) وهو حديث، أخرجه أحمد في مسنده: ١/٢١٥، ٢٧١، وفيه: «ليس الخبر كالمعاينة»، وقد استعمل مثلاً، الأمثال لأبي عبيد: ص٢٠٣، والأمثال للميداني: ٢/١٨٢.

زهده وورعه تجد إبراهيم بن أدهم، وأحمد بن حنبل في الزهد والعرفان.

ولقد كان بحراً يتقاذف موجه بالدُّرر، وعِقداً في جِيد الدَّهر، يتلألأ بالغَرر فرائد فوائده تخجل جواهر العقود، وجواهر فرائده تزري بقلائد العقيان والنقود. وكانت الأقلام خُدَّاماً لخواطره، والأسماع نظاماً لجواهره، والطروس سواحل لزواخره. وأسواق الفضل والآداب بوجوده قائمة، وتحقيق العلوم في أفنانه دائمة.

وكانت طلعته الباهرة مطلعاً لشموس السعادة، وغرته[1] الزاهرة وسماً لبلوغ السيادة. وأبوابه مورداً لأصناف الكرامات، واعتابه مصدراً لأنواع المعالي والكمالات.

ولقد كان الزهد شعاره، والورع وَقاره، والذكر أنيسه، والفكر جليسه. وظهرت له خفايا الأسرار، ولاحت له خبايا الحقائق مِن وراء الأستار. وكشف الغطاء عن حقائق الآخرة وهو في هذه الدار، وتفجرت ينابيع الحكم على لسانه، وفاضت عيون الحقائق مِن خلال جنانه. وأنشأت أهلَ الوجود عباراتُه، وأنعشت أرواح السامعين إشاراتُه.

هذا وإنِّي وإن أعمل صارم البراعة ومداها، وأبلغ عن مسالك البراعة مداها. وألمح مِن الإبداع غواني المغاني، وأعمي بطيات الأقلام ظباء المعاني، ورمت تعديد بروج نجوم فضائله، وتحديد تخوم مدرج فواضله التي يتنافس فيها الأماثل وتتباهى، لتناهت الأيام وهي لا تتناهى. ولعرفت أن تعبير لساني قصور، واعترفت بأني مِن جِنان مدائحه في قصور.

وأما ما قيل: مِن أنَّ الشيخ مَنَعَ مِن زيارة القبور، فحاشا لله، ومعاذ الله. هذه كتبه، وفتاويه، ومناسكه مصرِّحةٌ باستحباب زيارة قبور المسلمين،

(١) يوجد هنا سقط من نسخة المصنف ـ رحمه الله ـ بمقدار ورقة، وقد ألحقنا النقص من نسخة لانديبيرج رقم ٦٧٨.

فضلاً عن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بل صَرَّح بجواز زيارة قبور الكفار. نعم، حكى خلافاً للعلماء: فيما إذا سافر لمجرد زيارة القبور.

فمنهم مَنْ قالَ: بالجواز. وهو مذهب الجمهور.

ومنهم مَنْ قالَ: بالكراهة.

ومنهم مَنْ قالَ: بالتحريم. واختار هذا القول: ابنُ بطة[١]، وابنُ عقيل[٢] ـ إماما الحنبلية ـ، والإمامُ أبو محمد الجويني[٣] ـ إمام الشافعية ـ، وهو اختيارُ القاضي عياض في «إكماله» وهو ـ إمام المالكيـة ـ. ومال إلى هـذا القول: شيخُ الإسلام ابنُ تيمية.

والحُجَّةُ في ذلك: الحديث الصحيح وهو قوله ـ عليه السلام ـ: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد. . .»[٤] الحديث.

وقد انتصب للردِّ على «السُّبكي»: «ابنُ عبد الهادي» في مجلد كبير سَمَّاه: «الصارم المنكي في الردِّ على السُّبكي»[٥].

وأَمَّا «مسألة الطلاق» فإن ابنَ تيمية ـ رحمه الله ـ يقول: إنَّ الـطلاق الثلاث دفعة واحدة لا يقع إلا واحدة. وهو لم ينفرد بهذا القول، بل هو يروى عن عليٍّ، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس.

---

(١) عبيدالله بن محمد بن محمد أبو عبدالله العكبري، عالم بالحديث فقيه من كبار الحنابلة، توفي سنة ٣٨٧ هـ. «طبقات الحنابلة»: ٢/١٤٤ ـ ١٥٣.

(٢) علي بن عقيل بن محمد البغدادي، أبو الوفاء، عالم العراق، وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، صاحب كتاب «الفنون» وهو في ٤٠٠ جزء، توفي سنة ٥١٣ هـ. «شذرات الذهب»: ٤/٣٥.

(٣) واسمه الحمال، المعلم في شرح فوائد مسلم ومنه نسخة خطية في المغرب، «الخزانة العامة» رقم ١٩٧.

(٤) متفق عليه، «صحيح البخاري»: ٢/٧٦، «كتاب الصلاة»، «باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة»، و«صحيح مسلم»، رقم ٥١١، «كتاب الحج»، «باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

(٥) طبع في القاهرة، مطبعة الإمام.

وقالَ به عطاء، وطاوس، وعمرو بن دينار، وسعيد بن جبير، وأبو الشعثاء، ومحمد بن إسحاق، والحجاج بن أرطاة. وقال به شيوخ مِن قرطبة وجماعة؛ منهم: محمد بن عبد السلام الخُشَني[١] ـ فقيه عصره ـ، وأصبغ بن الحباب. واختار هذا الإمام أبو حيان في تفسيره «النَّهر»، والإمام ابن القَيِّم، وتكلم على ذلك في نحو أربعين ورقة[٢].

فلينكر على هؤلاء مَن ينكر على ابن تيمية. لا سَيَّما وقد صرَّح العلماء: إنَّ مذهبَ الأَئِمة قاطبة: أنَّه لا يجور للمجتهد أن يُقَلِّدَ، بل يجب عليه العمل بما رآه اجتهاده، وابن تيمية كان مجتهداً، بشهادة علماء عصره، فلا وجه للإنكار عليه، إلا مجرد العصبية، وحمية الجاهلية، وما أَحسن قول «ابن فضل الله العمري» في «مَرْثِيَّته» المتقدمة[٣]:

عليكَ في البحثِ أن تُبْدي غَوامَضَهُ ... ومـا عليـكَ إذا لم تفهم البقـرُ

وبالجملة: فهو الحَبْر الذي فاق بصفاته الأَوائل، والبحر المشتمل بذاته على جواهر الفضائل. وقد أَناخَ ابنُ عبد السلام رَكائِبَهُ بدار السلام ـ عليه الرَّحمةُ والرضوانُ ـ، وسحائبُ العفو والغفران، وخواطر على مرِّ الأَزمان، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم[٤].

مـا لأمـر إلا نَـسَـقٌ واحـدُ ... مـا فـيـهِ مِـنْ حَمـدٍ ولا ذمِ

وقال الآخرُ:

وإذا بدا لكَ فاعلم أَنك لستَ هو ... كـلا ولا أَيضـاً تكـونَ سِـواه

(١) أَبو الحسن، لغوي من حفاظ الحديث، من أَهل قرطبة رحل إلى المشرق، وأقام ٢٥ سنة متجولاً في طلب الحديث. توفي سنة ٢٨٦ هـ. «تذكرة الحفاظ»: ٢/٢٠٠.

(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد»: ص ١٠٠ ـ ١٢٤.

(٣) تقدمت في فصل وفاة ابن تيمية.

(٤) يوجد هنا سقط في النسختين الخطيتين.

إلى أمثال هذه الإشعار.

وفي النَّثْر ما لا يحصى. ويوهمون الجُهَّالَ أنَّ هذه الزَّندقة التي يسمونها توحيداً، كانَ عليها مشايخُ الإسلام.

وأئِمَّةُ الهدى مُتَّفِقونَ على تكفير هؤلاء، وإنَّ اللهَ - تعالى - ليس هو خلقه، ولا جزءاً مِنْ خلقه، ولا صفة مِنْ خلقه. بل هو - سبحانه - متميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته. وبذلك جاءت الكتب الإلهية من التوراة، والإنجيل، والقرآن. وعليه فطر اللهُ عبادَه، وعلى ذلك دَلَّت العقول.

وأكثر هؤلاء الاتحادية جُهّال، لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذي يذهب إليه الفاجر «العفيف التلمساني» وذووه، وبين الاتحاد المعين الذي تذهب إليه النَّصارى.

ثم قال: إنَّ قول الاتحادية يجمع كلَّ شِرك في العالم، وهم لا يوحِّدون الله. وإنَّما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات، فهم بربهم يعدلون.

ولهذا حَدَّث الثقةُ: أنَّ «ابنَ سبعين»[1] كان يريد الذهاب إلى الهند. وقالَ: إنَّ أرض الإسلام لا تسعه، لأن الهند مشركون يعبدون كلَّ شيء، حتى النبات والحيوان. وهذا حقيقة قول الاتحادية.

قالَ: وأعرف ناساً لهم اشتغال في الفلسفة والكلام، وقد تألَّهوا على

---

(١) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد الإشبيلي، أبو محمد، أحد زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود، قال ابن دقيق: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته. وقال الذهبي: اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجَّر ابنُ آمنة واسعاً بقوله: «لا نبي بعدي»، وكان يقول في الله - عز وجل - : إنه حقيقة الموجودات. وقد أورد «صاحبُ الشذرات»: ٣٢٩/٥ دفاع المناوي عنه، ورد هذه الأقوال. أقول فإن ثبت عنه ما أورده الذهبي فهي زندقة. توفي سنة ٦٦٩ هـ. «البداية والنهاية»: ٢٦١/١٣، «لسان الميزان»: ٣٩٢/٣.

طريق الاتحادية. فإذا أخذوا يصفون الربَّ بالكلام، قالوا: ليس بكذا، ليس بكذا. ووصفوه بأنَّه ليسَ هو المخلوقات كما يقوله المسلمون. لكن يجحدون صفات الإثبات التي جاءت بها الرُّسل.

وإذا صار لأحدهم ذوقٌ ووجدٌ وتألُّه، سَلَكَ على طريق الاتحادية، وقال: إنَّهُ هو الموجودات كلها. فإن قيل له: أين ذلك النَّفي مِنْ هـذا الإثبات؟ قال: ذاكَ عِقدي، وهذا ذوقي.

فيقال لهذا الضَّال: كُلُّ ذوقٍ ووجدٍ لا يطابقُ الاعتقاد فأحـدهما أو كلاهما باطلٌ. وإنما الأذواق والمواجيد نتائج المعارف، والاعتقادات.

ولو سلكَ هؤلاء طريقَ الأنبياء والمرسلين، واتبعـوا طريق السـابقين الأولين، لوجدوا بردَ اليقين، وقرَّةَ العين.

وقالَ ابنُ تيمية ـ في جواب سؤال سُئِلَ عنه، يتعلق بكلمات مِن كتاب «الفصوص»، ما ملخصه ـ : هذه الكلمات المذكورة كل كلمـة منها هي الكفر، الذي لا نِزاع فيه بين أهل الملل من المسلمين، واليهود، والنصارى. فضلاً عن كونـه كفراً في شـريعة الإسـلام. فإنَّ قـولَ القائـل: إنَّ آدم للحقِّ ـ تعالى ـ بمنزلة إنسان العين مِنَ العين، الذي يكون به النَّظَر. يقتضي أنَّ آدم جزءاً مِن الحق، وأنه أفضل أجزائه. وَيَدُلُّ لذلك قوله بعد: إنَّ الحقَّ المُنَزَّه هو الخلق المشبَّه، وقوله: كلُّ ذلك مِن عين واحدة. لا بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة: ﴿ فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل مـا تُؤمر ﴾ [الصافـات: ١٠٢] والولـد عين أبيـه، فما رآى يـذبح إلا نَفْسَـهُ: ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ [الصافات: ١٠٧] فظهـر بصورة كَبْشٍ مَنْ ظهـر بصورة إنسان. وظهر بصورة لا بحكم ولد مَن هو عين الولد: ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ [النساء: ١] فما نكحَ سوى نَفْسَهُ.

ثم قال ـ في موضع آخر ـ : وهو الباطن عن كلِّ فهم إلا عن فهم مَنْ قالَ: إنَّ العالم صورته وَهَوِيَّته.

وقالَ: مِن أسمائه الحسنى: العلي. على مَن؟! وما ثَمَّ إلا هو. وعن ماذا؟! وما هو إلا هو. فَعُلُوُّهُ لنفسه. وهو مِنْ حيثُ الوجود عين الموجودات. فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو. إلى أن قالَ: فهو عين ما ظهر، وعين ما بطن في حال ظهوره، وما ثَمَّ مَنْ يراه غيره، وما ثمَّ مَنْ يبطن عنه سواه. فهو ظاهر لنفسه، باطن عنه. وهو المُسَمَّى: أبو سعيد الخراز، وغير ذلك مِنْ أسماء المُحدثات.

وقالَ الأثري: الحقُّ يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلكَ عن نفسه، وبصفات النَّقص والذَّم، ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحقِّ، وهي مِن أولها إلى آخرها صفات له. وأمثال هذا الكلام. فإنَّ صاحب الفصوص وأمثاله، مثل صاحبه القونوي، والتِّلمساني، وابن سبعين، والششتري، وابن الفارض، واتباعهم مذهبهم الذي هم عليه: أنَّ الوجودَ واحدٌ، وهم يُسَمَّون «أهل وحدة الوجود» ويَـدَّعون التحقيق، والعـرفان. وهم يجعلون وجـود الخالق: وجود المخلوقات. وكل ما تتَّصف به المخلوقاتِ من حُسْنٍ وقُبحٍ، ومَدحٍ وذَمٍ؛ إنما اتَّصَفَ به عندهم عين الخالق وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات، منفصل عنها أصلاً. بل عندهم: ما ثَمَّ غير الخالق. فَعُبَّادُ الأصنام لم يعبدوا غيره، لأنه ما عندهم له غير. ولهذا جعلوا قولَه تعالى: ﴿ وقضى رَبُّكَ ألا تعبدوا إلا إيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي حَكَمَ: أن لا تعبدوا إلا إيّاه، وما حكمَ الله بشيءٍ إلا وقع. إذ ليس عندهم غيره، يتصور عقلاً. فكل عابد صنم إنما يعبد الله. ولهذا جعل صاحب هذا الكتاب: عُبّاد العجل مصيبين. وذكر: أنَّ موسى إنما أنكر على هارون: إنكاره عليهم عبادةَ العِجْل. وقالَ: كان موسىٰ أعلم بالأمرِ مِن هارون، لأنه عَلِمَ ما عَبَدَهُ أصحاب العجل لِعِلْمِهِ: أن الله قضى أن لا يعبدوا إلا إياه، وما حكمَ الله

بشيءٍ إلا وقع. فكان عتب موسى أخاه هارون بإنكاره وعدم اتساعه. فإنَّ العارفَ مَنْ يرى الحقَّ في كل شيءٍ. بل يراه عين كلِّ شيء. ولهذا يجعلون «فرعون» مِن كبار العارفينَ المحققين، وأنَّهُ كان مصيباً في ادِّعائه الرُّبوبية. فجعلوه مصيباً فيما كَفَّرَهُ اللهُ به.

وَمَنْ نظرَ في قولهم علم أنَّهُ أعظم مِنْ كفر اليهود والنَّصارى.

وقد اتَّفق سَلَفُ الأُمَّةِ وأئِمَّتُها: أنه - تعالى - بائِن مِن مخلوقاته، ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيءٌ مِن ذاته.

والسَّلَف والأَئِمَّة كَفَّروا «الجَهْمِيَّة» لَمَّا قالوا: إنَّه في كل مكان. ومما أنكروه عليهم: أنَّه كيف يكون في البطون والحشوش، والأَخلية!! - تعالى الله عن ذلك - فكيف مَنْ يجعله نفس وجود البطون، والحشوش، والأَخلية، والنَّجاسات، والأَقذار.

واتَّفقَ سَلَفُ الأُمَّةِ وأئِمَّتُها: على أنَّه - تعالى - ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا صفاته، ولا في أفعاله. وهؤلاء جعلوه نفس الأَجسام، ووصفوه بجميع النَّقائص التي يوصف بها كلّ كافر، وشيطان، وحشرات - تعالى الله عن قولهم - .

وكان عبدُالله بن المبارك يقول: «إنَّا لنحكي كلامَ اليهود، والنَّصارى. ولا نستطيع أَنْ نحكي كلامَ الجَهْمِيَّة». وهؤلاء شَرٌّ مِن «الجَهْمِيَّة». فإن الجهمية غاية قَولِهم: إنَّ الله - تعالى - في كل مكان. وهؤلاء قولهم: إنَّهُ وجود كل مكان ما عندهم موجودان، أحدهما خالق، والآخر مخلوق. وذلك كفر.

وكذلك قولهم: إنَّ المشركين لو تركوا عبادة الأَصنام لجهلوا أمر الحق بقدر ما تركوا منها. وهو من الكفر.

المعلوم بالاضطرار مِن جميع الملل هؤلاء الاتحادية رؤوسهم هم أئمة كفر. يجب قتلهم، ولا تقبل توبة منهم - إذا أُخذ قبل التوبة - فإنهم مِن أَعظم

الزنادقة، الذين يُظهرون الإسلام، ويُبطنون أعظم الكفر. ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذبَّ عنهم، أو أثنى عليهم، أو عَظَّمَ كتبهم، أو عُرِف بمساعدتهم، ومعاونتهم، أو كَرِهَ الكلامَ فيهم، أو أخذ يعتذر لهم: بأن هذا الكلام لا يدري ما هو، وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل، أو منافق. فكيف وهم أشبه النَّاس بالقرامطة الباطنية. ولهذا يُقِرون اليهـود والنَّصارى على ما هم عليه، ويجعلونهم على حق؛ كما يجعلون عُبَّاد الأصنام على حق(١).

وكل واحدةٍ مِن هـذه أَعظمُ الكفـر. ومَن كان محسنـاً للظنِّ بهم، وادعى: أنه لم يعرف حالهم؛ عُرِّفَ حالهم. فإن لم يباينهم، ويظهـر لهم الإنكار؛ وإلا أُلحق بهم، وجعل منهم.

وأما مَن قال: «لكلامهم تأويل يوافق الشـريعة. فـإنه مِن رؤوسهم وأَئِمَّتِهم فإنَّهُ إن كان ذكياً فإنه يعرف كذب نفسه فيما قال، وإن كان معتقداً لهذا باطناً وظاهراً فهو أكفر مِنَ اليهود والنَّصارى. والله تعالى أعلم» إنتهى كلام ابن تيمية ـ ملخصاً ـ رحمه الله.

تنبيه:

قال أبو حَيَّان في تفسير سورة المائدة مِن «تفسير النَّهر، وتفسير البحر»:

---

(١) وقد كان لعلي الحريري الصوفي خادم سامري يخدمه، فقال له: «إنَّ النَّاس يقولون لي: أسلم». فقال له: «كل مَن قال لك أسلم؛ قل له: لو كان إسلامك عليك عزيزاً ما عرضته على اليهود».
وكان جالساً في جامع دمشق، فجاءه فقير وسجد بين يديه. فأنكرَ عليه رجلٌ مِنَ الفقهاء. فقال: «لا تُنْكِر؛ فكلُّ ملك في السماء سجد لي؛ وقت أن كنت في صلب آدم». وقال: «لو ذبحت سبعين نبياً على مذبح واحد، ما اعتقدت أني مخطىء».
وقال لأصحابه: «بايعوني على أن نَموتَ يهود، ونحشرَ إلى النَّار؛ حتى لا يصاحبني أحد لعلة».
وسأله رجلٌ: أي الطرق أقربُ إلى الله؛ حتىٰ أسير فيه؟ فقال له: إترك السَّير.
وقد وَصَلَتْ، وَبَدَتْ منه أقوالٌ قبيحة، أنكرها عليه الفقهاء؛ كالشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ ابن الصَّلاح، وابن حاجب؛ شيخ المالكية.

ومِن بعض اعتقادات النَّصارى استنبط مَن تَسَتَّرَ بالإسلام ظاهراً. وانتمى إلى الصوفية: حلول اللهِ ـ تعالى ـ في الصُّور الجميلة، ومَنْ ذهب مِن ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة: كالحلّاج، والتُّوري، وابن أُحلى، وابن عـربي، وابن الفارض، واتباع هؤلاء كابن سعيد، والششتري تلميذه، وابن مظفر، والصَفَّار، وابن لباج، وابن الحسن.

وممَّن رأيناه يُرمى بهذا المذهب ـ الملعون ـ : العفيف التلسماني[1]، وابن عَيّاش المالقي الأَسـود، وعبد الـواحد بن المؤَخـر والأَيكي العجمي، وأَبو يعقوب بن بشر ـ تلميذ الششتري ـ ، كان بِحَارَةِ زويلة بالقاهرة.

وإنما سردتُ أَسماء هؤلاء؛ نُصْحاً لدين الله ـ يعلم اللهُ ذلك ـ ، وشفقة على ضعفاء المسلمين ليحذروهم. فهم شرٌ مِنَ الفلاسفة؛ الذين يكذبون الله ورسولَه، ويقولون بِقِدم العالم.

وقد أُولع ـ جهلة مَنْ ينتمي للتصوف ـ بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أَنَّهم صفوة الله ـ تعالى ـ وأَولياؤهُ. والأَمر فيهم كما ذكرت.

وقال أَبو حَيّان ـ أَيضاً ـ في «تفسير سورة الأَعراف»: وقد ظهر في هذا الزَّمان العجيب نـاسٌ يتسمون بـالمشايـخ، يلبسـون ثيـاب شهـرة ـ عنـد العامَّة ـ بالصلاح، ويتركون الاكْتِساب، وَيُرَتِّبون أَذكاراً لم تَرِد في الشريعة، يجهـرون بها في المسـاجـد، ويجمعـون لهم خُـدَّامـاً يجلبـون النّـاس إليهـم لاستخدامهم، ونتش أَموالهم، ويذيعون عنهم كرامات، ويرون الوصول إلى

(١) هو سليمان بن علي بن عبدالله الكومي، التلمساني، عفيف الدين المتوفى سنة ٦٩٠ هـ، كان يتصوف، ويتكلم على اصطلاح القوم يتبع طريقة ابن عـربي في أَقواله وأَفعاله، واتهمه فريق برقَّة الدين، والميل إلى مذهب النصيرية، ودافع عنه الشيخ عبد الرؤوف المنادي، وأَثنىٰ عليه، وأَنكر ما ينسب إليه. أَما إذا ثبت ما يُنسب إليه من العقائد الباطلة كوحدة الوجود وغير ذلك فهي زندقة وكفر والعياذ بالله. «النجوم الزاهرة»: ٢٩/٨، «البداية والنهاية»: ٣٢٦/١٣، «شذرات الذهب»: ٤١٢/٥.

الله ـ تعالى ـ بأمور يقررونها في خلوات، وأذكار لم يأت بها كتاب منزل، ولا نبيٌّ مرسل، ويتعاظمون على الناس بالانفرادِ على سجّادَة، ونَصْبِ أيديهم للتَّقْبيلِ، وقِلَّةِ الكلام، وإطْراق الرؤُوس. وتَعيين خادم يقول: الشيخ مشغول في الخَلْوة، رسم الشيخ، قال الشيخ، الشيخ له نظر إليك، الشيخ كان البارحة يذكرك. إلى نحو هذه الألفاظ؛ التي يحشدون العامَّة، ويجلبون بها عقولَ الجهلة. هذا إنْ سَلِمَ الشيخُ مِنَ الاعتقاد الذي غلبَ على متصوفة هذا الزَّمان: مِنَ الحلول، والقول بالوحدة. فإذ ذاك: يكون منسلخاً عن شريعة الإسلام بالكلية.

والعجب لمثل هؤلاء كيف تُرتَّب لهم الرواتب، وتُبنى لهم الرُّبط، وتُوَقَّف عليهم الأوقاف، وتخدمهم الناس مع عدولهم عن سائر الفضائل!! ولكنَّ النَّاس أقرب إلى أشباههم.

قال: وقد أطلنا في هذا، رجاء أنْ يقف عليه مسلمٌ عاقلٌ؛ فينتفع به. جزاه الله عن مقصده أحسن الجزاء المبين. وجزى سائر علماء المسلمين، الذَّابين عن شريعة سَيِّد المرسلين، القامعين بأقوالهم للمارقين الملحدين.

ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وارحمنا إذا توفيتنا. وتوفنا ـ غير مفتونين، ولا ضالين، ولا مضلين ـ على العقيدة الحَقَّةِ الصِّرْفةِ التي لا يَشُوبُها كَدَر؛ وهي ما كان عليها مثل أبي بكر وعمر ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وصلى الله على جميع النبيين والمرسلين، وعلى آلِ كلٍ، وصحبه، أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

تَمَّ بخط مؤلفه.

قال مؤلفه ـ سامحه الله ـ : فرغت مِن جمع هذه الفرائد، ورقم هذه الفوائد؛ بالجامع الأزهر، نهار الجمعة، وقت الخطبة، سادس عشر ذي القعدة الحرام، سنة ثلاثين وألف.

فهرس مراجع التحقيق

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، طبع بمصر ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠ م.

٣ ـ الأعلام العلية، لأبي حفص عمر بن علي البزاز ت ٧٤٩ هـ، دار الكتاب الجديد، بيروت سنة ١٩٧٠ م.

٤ ـ الأمثال.

٥ ـ إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ، المجلس الأعلى للشورى.

٦ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي، ت ١٣٣٩ هـ. منشورات مكتبة المثنى ببغداد.

٧ ـ البداية والنهاية في التاريخ، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤ هـ، تصوير عن مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥١ هـ.

٨ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للعلامة محمد بن علي الشوكاني، ت ١٢٥٠ هـ، الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ.

٩ ـ بديعة البيان في وفيات الأعيان، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ت ٨٤٢ هـ، النسخة الخطية المحفوظة بجامع الزيتونة بتونس رقم ١٦٧٣.

١٠ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٨٤ هـ.

١١ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي أحمد بن يحيى، ت ٥٩٩ هـ، طبع دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٧ م.

١٢ ـ تذكرة الحفاظ للحافظ أبي عبدالله محمد الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، تصوير دار إحياء التراث العربي عن طبعة وزارة المعارف الحكومية بالهند.

١٣ ـ تتمة المختصر في أخبار البشر، لابن الوردي عمر بن مظفر ت ٧٤٩ هـ القاهرة ١٢٨٥ هـ.
١٤ ـ تهذيب مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر ت ٧٥١ هـ هذبه الأستاذ عبد المنعم صالح العلي العزي، مطبعة كاظم بدبي ١٤٠٢ هـ.
١٥ ـ الجواهر المضيئة في تراجم الحنفية، لعبد القادر القرشي، طبع حيدرآباد بالهند سنة ١٣٣٢ هـ.
١٦ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للحافظ جلال الدين السيوطي، ت ٩١١ هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار الكتب العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧ هـ.
١٧ ـ الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي عبد القادر بن محمد ت ٩٢٧ هـ، طبع في دمشق ١٣٦٧ هـ ـ ١٣٧٠ هـ.
١٨ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ، مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ.
١٩ ـ ديوان أبي حيان الأندلسي، للأثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني ببغداد سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م.
٢٠ ـ ديوان الأعشى، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب بيروت سنة ١٩٨٠ م.
ديوان مجنون ليلى، لقيس بن الملوح بن مزاحم العامري، جمع وتحقيق عبد الستار، أحمد فراج، مكتبة مصر بالقاهرة.
٢١ ـ الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، للدكتور بشار عواد معروف، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٧٦ م بالقاهرة.
٢٢ ـ ذيل طبقات الحنابلة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي، ت ٧٩٥ هـ، صححه محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٢ هـ.
٢٣ ـ ذيل تذكرة الحفاظ، للحسيني محمد بن فهد المكي، والسيوطي تصوير دار إحياء التراث العربي عن طبعة وزارة المعارف الحكومية بالهند.
٢٤ ـ الرد الوافر، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ت ٨٤٢ هـ، تحقيق الأستاذ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت ١٣٩٣ هـ.
٢٥ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، للكتاني محمد بن جعفر ت ١٣٤٥ هـ، الطبعة الثالثة ١٩٦٤ م.
٢٦ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ. تحقيق الدكتور حامد عبد المجيد وجماعة القاهرة ١٩٥٧.

٢٧ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، للحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٧٣ هـ.

٢٨ ـ سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥ هـ، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٢ م.

٢٩ ـ سير أعلام النبلاء، لأبي عبدالله محمد الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٢ هـ الثانية.

٣٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي، ت ١٠٨٩ هـ، طبعة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ، شرف أصحاب الحديث، للحافظ الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ، تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية.

٣١ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي. علق عليه وراجعه محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني بالقاهرة ١٩٥٢ م.

٣٢ ـ الصارم المنكي في الرد على السبكي، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي ت ٧٤٤ هـ، مطبعة الإمام بالقاهرة.

٣٣ ـ صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦ هـ، تصوير دار الفكر، بيروت.

٣٤ ـ صحيح مسلم، للحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت ٢٦١ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٧٤ هـ.

٣٥ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت ٩٢٠ هـ، طبع القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ.

٣٦ ـ الطب النبوي، للحافظ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨١ م.

٣٧ ـ طبقات الحفاظ، للحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي ت ٧٤٤ هـ، النسخة الخطية المحفوظة.

٣٨ ـ طبقات الحفاظ، للحافظ جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ، بتحقيق محمد علي عمر.

٣٩ ـ طبقات الحنابلة، للقاضي محمد أبي يعلى الفراء الحنبلي، مطبعة الإستقلال، ونشره وهبه ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م بالقاهرة. ت ٥٢٦ هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ.

٤٠ ـ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، ت ٧٧١ هـ، تحقيق الأستاذين عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، طبع عيسى الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٣ هـ.

٤١ ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، للحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي ت ٧٤٤ هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٢ ـ العوائق، للأستاذ محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م.

٤٣ ـ غاية النهاية في طبقات القراء، لأبي الخير محمد بن محمد الجزري ت ٨٣٣ هـ، نشر: ج. برجستراسر، تصوير عن مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٣٥٢ هـ.

٤٤ ـ فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤ هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة سنة ١٩٥١ م، نشر مكتبة النهضة المصرية.

٤٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله، الشهير بحاجي خليفة، طبعة استنبول سنة ١٣١٠ هـ الأولى.

٤٦ ـ الكواكب الدُّرِّية في مناقب المجتهد ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الحنبلي ت ١٠٣٠ هـ، النسخة الخطية المحفوظة في لانديبرج رقم ٢٤٣.

٤٧ ـ كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧ هـ.

٤٨ ـ مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٩ م.

٤٩ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق عبد المؤمن البغدادي الحنبلي ت ٧٣٩ هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٧٤ م.

٥٠ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، النسخة المصورة عن مجموعة لانديبرج رقم ٣٤١.

٥١ ـ المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ، تصوير عن طبعة حيدرآباد الدكن بالهند سنة ١٣٣٥ هـ.

٥٢ ـ المستقصى في أمثال العرب للزمخشري، طبعة الهند ١٩٦٢ م.

٥٣ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ، المطبعة الميمنية بالقاهرة، سنة ١٣١٣ هـ.

٥٤ ـ معجم البلدان، لياقوت بن عبدالله الحموي ت ٦٢٦ هـ، طبعة طهران، سنة ١٩٦٥ م.

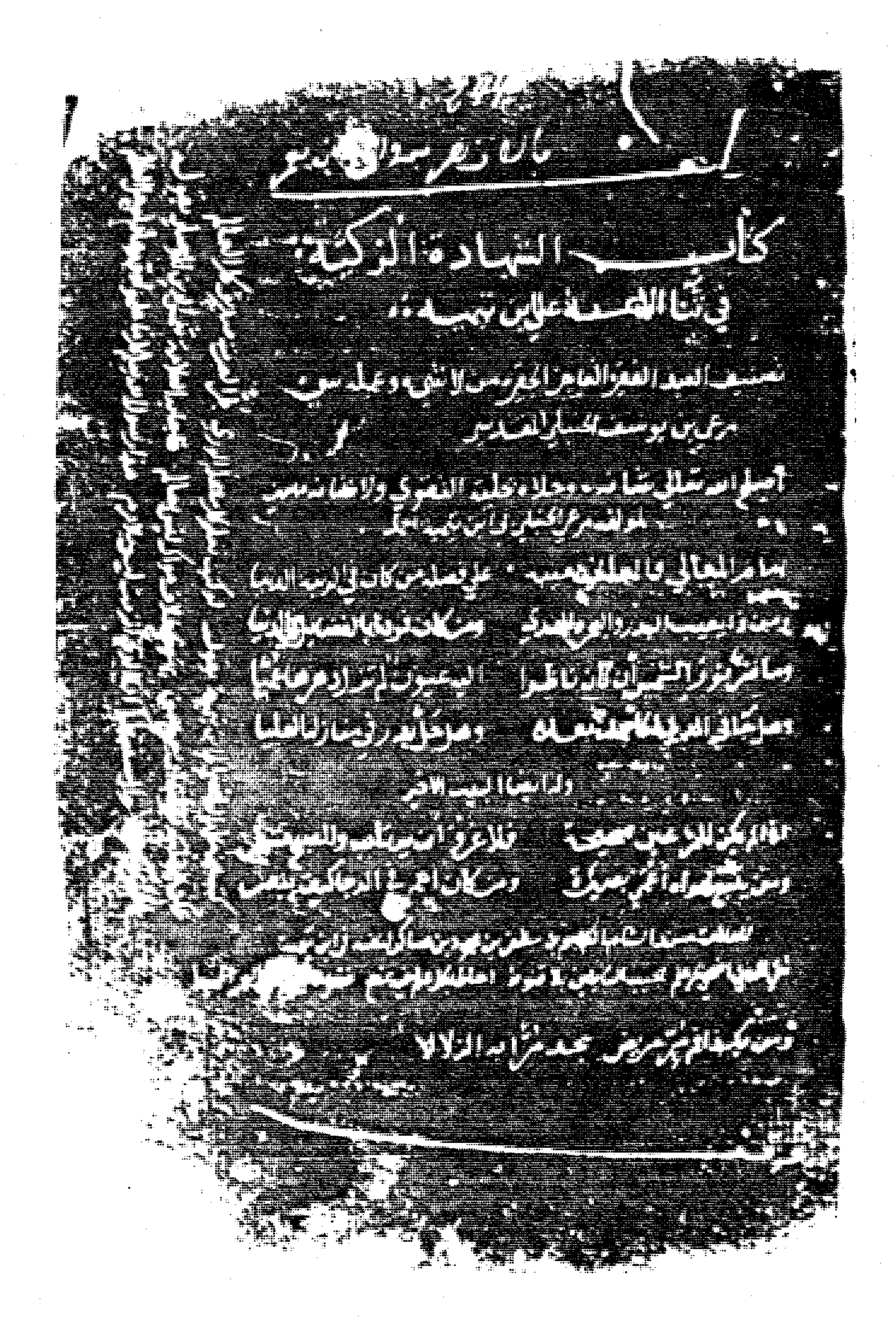
٥٥ ـ معجم الشيوخ الكبير، لأبي عبدالله الذهبي ت ٧٤٨ هـ، النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية ٦٥ حديث.

٥٦ ـ المعجم الوسيط، أعدَّه مجمع اللغة العربية، مطبعة دار المعارف بمصر ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.
٥٧ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغرى بردي يوسف الأتابكي ت ٨٧٤ هـ، طبعة دار الكتب ١٩٢٩ هـ ـ ١٩٥٦ م.
٥٨ ـ الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤ هـ، الطبعة الثانية سنة ١٣٨١ هـ باعتناء هلموت ريتر.

فهارس المخطوطات

٥٩ ـ فهرس الخزانة التيمورية، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م.
٦٠ ـ فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م.
٦١ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية، فؤاد السيد، مطبعة دار الكتب المصرية في ثلاثة أجزاء.
٦٢ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية ـ قسم التاريخ ـ وضعه خالد الريان سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م بدمشق.
٦٣ ـ كتاب مخطوطات الموصل، وضعه الدكتور داود الحلبي الموصلي، مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م.
٦٤ ـ الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف، وضعه الدكتور محمد أسعد طلس، مطبعة العاني ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م.

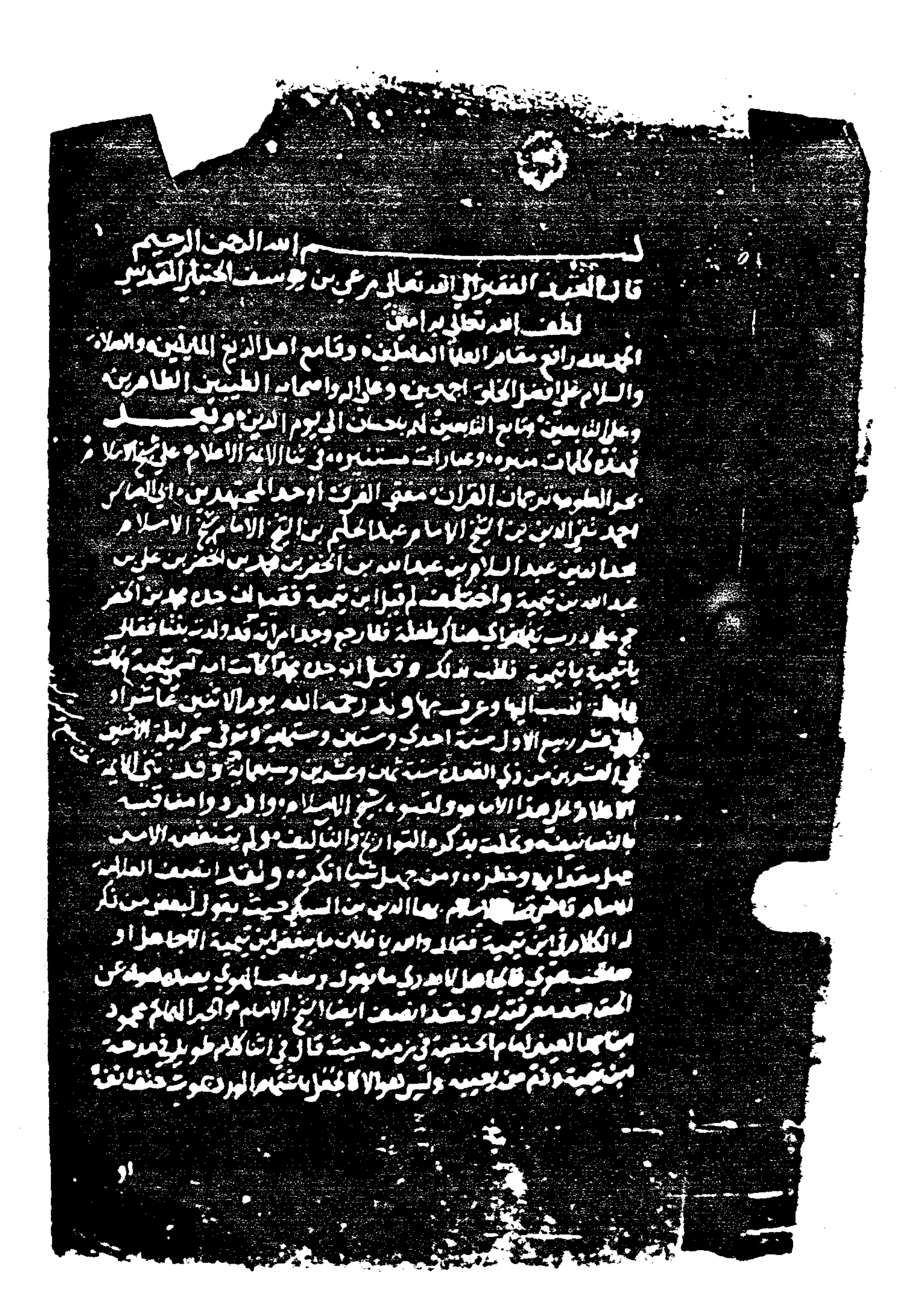




كتاب الشهادة الزكية

في ثنا الأئمة على ابن تيمية

تصنيف العبد الفقير ... مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي



بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
لطف الله تعالى به آمين

الحمد لله رافع مقام العلماء العاملين، وقامع أهل الزيغ المائلين، والصلاة
والسلام على أفضل الخلق أجمعين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين
وعلى التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد
فهذه كلمات منيرة، وعبارات مستنيرة، في ثناء الأئمة الأعلام على شيخ الإسلام
بحر العلوم ترجمان القرآن، محقق الفرق أوحد المجتهدين، أبي العباس
أحمد تقي الدين بن الشيخ الإمام عبد الحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام
مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن
عبد الله بن تيمية واختلف لم قيل ابن تيمية فقيل إن جد محمد بن الخضر
حج على درب تيماء فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتا فقال
يا تيمية يا تيمية فلقب بذلك وقيل إن جده محمدا كانت أمه تسمى تيمية وكانت
واعظة فنسب إليها وعرف بها، ولد رحمه الله يوم الاثنين عاشر أو
ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وتوفي سحر ليلة الاثنين
ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وقد أثنى الأئمة
الأعلام على هذا الإمام، ولقبوه بشيخ الإسلام، والفرد والإمام قبله
بالنسبة إليه وعلت بذكره التواريخ والتآليف، ولم ينتقصه إلا من
جهل مقداره وخطره، ومن جهل شيئا أنكره، ولقد أنصف العلامة
الإمام قاضي قضاة الإسلام بهاء الدين ابن السبكي حيث يقول لبعض من تكلم
له الكلام في ابن تيمية فقال والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو
صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن
الحق بعد معرفته به، ولقد أنصف أيضا الشيخ الإمام والحبر الهمام محمود
بن أحمد العيني الحنفي في زمنه حيث قال في أثناء كلام طويل في مدحه
ابن تيمية وذم من يعيبه وليس هو إلا كالجاهل الذي يتهم الهدهد بموت حتف أنفه

او كما قال [illegible] بهم [illegible]

[illegible] الاصلح [illegible]

[illegible] بن [illegible]

[illegible] الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية [illegible]

[illegible] الكلام [illegible]

وعلى ذكر الله ان كثيرا من الائمة الاعلام [illegible]

[illegible] الشيخ تقي الدين بن تيمية [illegible] وتراجم

في التواريخ مذكورة [illegible] العلما الذين اثنوا عليه [illegible]

كتاب الرد الوافر تصنيف الامام العالم الاوحد [illegible] الحافظ ابي عبد الله

محمد بن ابي بكر بن عبد الله بن محمد بن احمد بن ناصر الدين [illegible] وقد

[illegible] ان اذكرهنا [illegible]

في [illegible] ابن سيد الناس

وهو الامام الحافظ [illegible] العالم الاديب [illegible] فتح الدين ابو الفتح محمد بن

الحافظ ابي عمرو محمد بن [illegible] محمد بن احمد بن عبد الله

[illegible] ابي القاسم [illegible] الاندلسي الاشبيلي [illegible]

[illegible] وتوفي في شعبان

سنة اربع وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة ودفن بالقرافة [illegible]

وكانت جنازته مشهودة وله مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة

قال [illegible] في ترجمة ابن تيمية بعد ان ذكر ترجمة الحافظ

المزي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

إلى أن قال فهو عين ما ظهر وعين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم من يبطن
عنه سواه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء
المحدثات فجعل الأمر كله الحق يظهر بصفات المحدثات ويخبر بها عن نفسه وبصفات
النقص والذم ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق وهو من أوله إلى آخره صفات له
وأمثال هذا الكلام فإن صاحب الفصوص وأمثاله مثل صاحبه القونوي والتلمساني
وابن سبعين والششتري وابن الفارض وأتباعهم مذهبهم الذي هم عليه أن الوجود
واحد وهم يسمون أهل وحدة الوجود ويدعون التحقيق والعرفان وهم يجعلون
وجود الخالق وجود المخلوقات فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبح ومدح
وذم إنما المتصف به عندهم عين الخالق وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود
المخلوقات منفصل عنها أصلا بل عندهم ما ثم غير الخالق فعباد الأصنام لم يعبدوا
غيره لأنه ما عندهم له غير ولهذا جعلوا قوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه
أي حكم أن لا تعبدوا إلا إياه، ولما حكم الله بشيء لا يرجع إذ ليس عندهم غير له يتصور أن
تكون عابدا [illegible] إنما يعبد الله ولهذا جعل صاحب هذا الكتاب عباد العجل مصيبين
وذكر أن موسى إنما أنكر على هارون إنكاره عليهم عبادة العجل وقال كان موسى أعلم
بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لا تعبدوا إلا
إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه
فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء ولهذا جعل فرعون من كبار
العارفين المحققين وأنه كان مصيبا في دعواه الربوبية كما قال في هذا الكتاب
لما قال فرعون أنا ربكم الأعلى [illegible] وإن كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا الأعلى منكم بما أعطيته
ومن نظر في كلامهم علم أنهم أعظم من كفر اليهود والنصارى بل ومن كفر كثير من المشركين
[illegible] من غلط [illegible] للعلم [illegible] من جهة [illegible] الاتحاد [illegible]
[illegible] تنكر [illegible] أنا [illegible]
[illegible] الزنادقة الذين يظهرون الإسلام ويبطنون [illegible]

فهرس الموضوعات